

مَسَائِدُ الْجَاهِلِيَّةِ

التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية

« ألف أصلها »

« الامام محيي السنة ، ومجدد شبابها في جزيرة العرب »

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

« وتوسع فيها على هذا الوضع »

« علامة العراق »

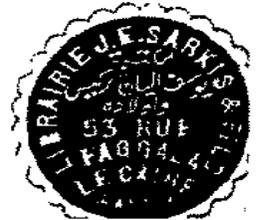
السيد محمود شكري الاولوسي

القاهرة

١٣٤٧

عُنيَت بشيخ

المطبعة السلفية - ومكتبتها
نصابها : محبة النبي وعلمه



→ حقیقۃً اربع محفوظاتِ اعلیٰ استغنیٰ و کتابتہا ←

الى ذى النورين

بسيط صاحب الدعوة الى التوحيد محمد بن عبد الوهاب

وحفيد مؤيديها وناشريها آل سعود الكرام

﴿ صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ﴾

ابن صاحب الجلالة ملك العرب ، وباسط جناحي الأمن والعدل

في اخرين الشريفين

﴿ الامام عبد العزيز آل سعود ﴾

هدي هذا الكتاب

محمد بن حبيب



مَقَدِّمَةٌ لِلنَّاسِرِ

١٩٣٠ /
العدد ٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - وصلى الله على سيدنا محمد وآله - رافع لواء الهدى في العالمين

وبعدُ فإن الخلفاء الراشدين ورجال الدولة في زمن بنى أمية كانوا يَهْدُونَ بلواء الاسلام الى السواعد العربية تخوض به الافاق شرقاً وغرباً ، والى الالسنه العربية تدعو اليه بادية وحاضرة ، فكانت الدولة على اتصال بجزيرة العرب تغذي الجيش من قتيانها ، وتُعْنِي بأحوال أهلهم في ربوعهم وبين جبالهم ، وتوسد الامور في الاقطار الى النوايغ من عقلائهم وحكامهم ، فكان الاسلام غَضًّا في جزيرة العرب ، وهدايته معمولاً بها تحت الخيمة وفي بيت الشعر وبين جذوع النخيل . فما برح الاسلام بذلك منصوراً ، وممالكه بازدياد ، والناس يدخلون في دين الله شعوباً وأسماء ، الى أن استدار الزمان مرة أخرى فجرَّب الخلفاء من بني العباس الاعتماد على أهل السياسة والحمة الدنيوية من القُرس في إقامة دعائم مُلْكهم . ولم يكن أهل السياسة والدنيا منهم كما

كان أهلُ التقوى والدين ، فأبدتِ المجوسيةُ نواجذها ، ورغم الفتك بأبي مسلم فإن الحال ظلت على ذلك إلى زمن أمير المؤمنين المعتصم ، فأخذ دقة السفينة من أيدي الفُرس وأسلمها إلى أيدي غلمانها من الترك ، فهض من شرٍّ واحد ووقع في شرّين : لأن للفرس سابقةً وحضارة ليس لهؤلاء مثلها . وفي هذه الحادثة يقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده :

« خليفة عباسي أراد ان يضع نفسه وخلفه ، ويؤس ما صنع أئمة ودينه . اكثر من ذلك اجند الاجني ، واقام عليه الرؤساء منه . فلم تكن الاعشية او ضحانها حتى تغيب رؤساء اجند على الخناء ، واستبقوا بالسلطان دوسهم ، وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام ، والقاب الذي هذبه الدين ، بل جاوروا الى الاسلام بخشونة الجبل ، يحملون التوبة الظلم ، لسوا لاسلام على آباءهم ، ولم ينفذ شيء منه الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل إلهه معه بعينه في خلونه ويصلي مع الجماعات لتسكين سلطته ... »

منذ تلك الازمان وجزيرة العرب مهمة : لا تعينها الدولة ولا تستعين بها . وكانت نتيجة ذلك أن « الجاهلية » عادت الى جزيرة العرب واستقرت فيها قروناً طويلة

ثم ظهر في صميم جزيرة العرب رجلٌ عظيم لا يزال حقه على المسلمين مهضوماً فيهم ، وأعني به الرجل المصلح ، داعي العرب والمسلمين الرجوع الى فطرة الاسلام الاولى ، شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب مؤلف أصل هذا الكتاب . هذا الرجل

نظر فيما عليه سكان جزيرة العرب في زمنه فرآهم في حالة سوء :
العصية الجاهلية كاتي نهى عنها هادي البشر ﷺ
ﷺ ، ودُعاه غير الله كالذي جاء ﷺ لاستئصال جرثومته ،
والاحتيال ، مختلف الاسباب للابتعاد عن الحق والهدى كالذي
كان قبل معنه ﷺ . ثم التقاطع ، التفرق ، التواهي بالباطل
دون الحق ، الاعتداء على حق الغير ، العطالة ، الكسل ،
الخرافات والأوهام ، الضغينة ، الفوضى ، القذارة ، المسكر ،
الخداع ، عدم الاتقياد للنظام بحيث كان كل رجل أمة وحده .
هذه أمراضٌ رآها مؤلف أصل هذا الكتاب موجودةً في قومه
وفي بلاده ، ورأى السنة المحمدية تدور حول تطهير الانسانية
من هذه الشوائب ، فقال في نفسه :

— إذن نحن في مثل ما كانت عليه أهل الجاهلية !
حينئذ عاهد ربّه على أن يعلن الحرب على هذه الأمراض
وأن يداويها بالطب النبوي من كتاب الله وسنة رسوله
قلتُ انه كان رجلاً عظيماً ، لانه ثبت في جهاده الى أن
لقي ربه ، فحوّل الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته
من أخلاق الجاهلية وأطوارها الى أمةٍ تقيم الصلاة ساعة الدعوة
اليها ، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها ، ولا يشهد رمضان فيها ما يشاهده
في مصر والشام والعراق من فضائح ، ويحجّون بقلوب لا مدّسع

فيها لغير الايمان بالله ، وكل رجل منهم عنده كَفَنُهُ يحمله مع سلاحه
إذا ناداه الامام للجهاد

ان تحويل هذه الامة مما كانت عليه الى ما صارت اليه
ليس من الامور الهيئنة ، وأنا كما تصوّرتُ في ذهني عظمة
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يتضاءل في نظري كثير من
الشخصيات التي انا متعجبٌ بها ، فأنظر اليه بعين الاكابر
والاجلال

نعم ، ان في نجدٍ جهوداً وشدةً ، لكنها ناشتان عن عزّة
النجديين في بلاد مُنزويةٍ عن ممرّ الامم ، وأنا على يقين بأن
اتصالَ نجد بالحجاز ، واتصال النجديين والحجازيين بحجاج
الاقطار ، وازدياد عدد الحجيج باستتباب الامن ورسوخه ،
سيكون فيه خير عظيم للحجاز ونجد والعالم الاسلامي جميعاً



وبعدُ فان هذه الرسالة احدى نظرات محمد بن عبد الوهاب
الى المرض العام الذي كان سكان الجزيرة العربية مصابين
بأعراضه . والظاهر أنه جعلها رسوم أقلام ليتوسّع فيها يوماً ما ،
فلم يتيسّر ذلك له . وقد طُبعت في الهند على اختصارها الذي
جعلها بمقام فهرس للمسائل المائة التي خالف فيها رسولُ

الله ^{صلواته} أهل الجاهلية من الاميين والكتابين . ولما رأى علامةُ
العراق السيد محمود سُكْرِي اللّوسِي (رحمه الله) اختصارها ،
وأدرك أنها ليست تأليفاً ولكنها مذكّرةٌ لتأليف عمده الى
شرحها . ولا أعني شرحَ ألفاظها بل شرحَ معانيها ، أي أنه آتمَّ
العمل الذي كان يريد المصلحُ النجديُّ العظيمُ أن يُتمّه

ولما كان كتاب السيد محمود سُكْرِي اللّوسِي لا يزال
مخطوطاً ويُخشى أن تبتاعه الجوائح ، فقد رأى صديقي أديبُ
العراق السيد محمّد بهجة اللّوسِي - وهو خير من أنجبهم العلامة
اللازمي - أن يجعل هذا الكتاب هديّةً اليّ عند زيارته القاهرة
في شهر صفر سنة ١٣٤٧ ، ورأيتُ من قدر هذه الهدية عندي
أن أبادر الى طبعها ووضعها بين أيدي الناس تعميماً لفائدتها ، وأن
أجعلها هدية المكتبة السلفية الى سيد شباب هذه الدعوة الامير
فيصل السعود لانه كما ورثُ حماتها بآبائه ورث صاحب الدعوة
نفسه من طرف أمه ، فلم أجد أحداً أولى بها منه . والله ولي التوفيق

القاهرة : ٢٠ ربيع الأول ، ١٣٥٧

محبّ الدّين المطيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا الصراط
المستقيم * والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى
آله وأصحابه الغر الميامين

أما بعد فيقول العبد المفتقر الى عفو الله وغفرانه محمود شكري
الألوسي البغدادي كان الله تعالى له ، وأحسن عمله : أي قد وقفت
على رسالة صغيرة الحجم كثيرة الفوائد تشتمل على نحو مائة مسألة
من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية من
الاميين والكتابين ، وهي أمور اُبتدعوها ما أنزل الله بها من
سلطان ولا أخذت عن نبي من النبيين . ألفها الإمام محيي السنة ،
ومجدد الشريعة النبوية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب
النجدي الحنبلي تغمده الله تعالى برحمته . قرأيتها في غاية الإيجاز ،
بل كادت تعدُّ من قبيل الالغاز . قد عبر عن كثير منها بعبارة
مجملة ، وأتى فيها بدلائل ليست بشروحة ولا مفصلة . حتى إن
من ينظرها ليظن أنها فهرس كتاب ، قد عدت فيه المسائل من

غير فضول ولا أبواب ، ولا شتمها على تلك المسائل المهمة الآخذة بيد المتمسك بها الى منازل الرحمة ، أحببت أن أعلق عليها شرحاً يفصل مجملها ويكشف معضلاتها من غير إيجاز مخل ولا إطناب ممل . مقتصرأ فيه على أوضح الأقوال ومبيناً ما أورده من برهان ودليل ، عسى الله أن ينفع بذلك المسلمين ويهدي به من يشاء من عباده المتقين فيكون سبباً للأبواب ، والفوز يوم العرض والحساب ، والأمن من أليم العذاب ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال المصنف رحمه الله تعالى عليه :

هذه مسائل خائف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والاميين مما لا غنى لمسلم عن معرفتها فالضد يظهر حسنة الضد ، وبضدها تميز الأشياء . وأهم ما فيها وأشدّه خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، فإن انضاف الى ذلك استحسان دين الجاهلية والايان به تمت الخسارة والعياذ بالله تعالى كما قال تعالى « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون »

﴿ دعاء الصالحين ﴾

﴿ المسألة الاولى ﴾ : أنهم يتعبدون بأشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الذي يحبه الله ويريدون بذلك شفاعتهم عند الله لظنهم أنهم يحبون ذلك كما قال تعالى في أوائل الزمر « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون » وقال تعالى « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالاخلاص وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهذه المسألة هي الدين كله ولأجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى في البقرة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله »

﴿ التفرقة ﴾

﴿ الثانية ﴾ : أنهم متفرقون ويرون السمع والطاعة مهانة وردالة فأمرهم الله بالاجتماع ونهاهم عن التفرقة فقال عز ذكره

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَوْتِنُوا الْآيَاتِ الْمَسْلُومِينَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » يقال أراد سبحانه بما ذكر ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاوت مائة وعشرين سنة إلى أن أُلِّفَ سبحانه بينهم بالإسلام فزال الاحتقاد قاله ابن إسحاق وكان يوم بعث آخر الحروب التي جرت بينهم وقد فصل ذلك في الكامل . ومن الناس من يقول أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل والقتال العريض ومنه حرب البسوس كما نقل عن الحسن رضي الله عنه وقال تعالى « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا » إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الخاصة على النهي عن الاستبداد والتفرق وعدم الاتقياد والطاعة مما كان عليه أهل الجاهلية

﴿ مخالفة وني الأمر ﴾

﴿ الثالثة ﴾ : أن مخالفة وني الأمر وعدم الاتقياد له عندهم فضيلة وبعضهم يجعله ديناً . فخالفهم النبي ﷺ في ذلك وأمرهم بالصبر

على جور الولاية والسمع والطاعة والنصيحة لهم وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد . وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه عليه السلام « يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كره من أميره شيئاً فليصبر فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » وروى أيضاً عن جنادة بن أبي أمية قال : دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض ، فقلنا : أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم . قال : دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله الا ان تركوا كفراً بواحا عندكم من الله فيه برهان . والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ولم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم الا من الاخلال بهذه النصيحة

﴿ التقليد ﴾

﴿ الرابعة ﴾ : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين كما قال

تعالى في الزخرف « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها أنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جثتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون » فأمرهم الله تعالى بقوله في سورة الاعراف « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » وقال تعالى « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أول لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » الى غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربة التقليد لا يحكمون لهم رأيا ولا يشغنون فكراً فلذلك تاهوا في أودية الجهالة وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصر كان

﴿ لا اقتداء بالعلم الفاسق أو العابد الجاهل ﴾

﴿ الخامسة ﴾ : الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهاتهم وعبادهم فحذرهم الله تعالى من ذلك بقوله « يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الأحبار والرهبان يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » وقال تعالى « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير تخق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل » الى آيات أخر تنادي ببطلان الاقتداء بالفاسق وأهل الضلالة والغي وذلك من سنن أهل الجاهلية وطرائقهم

المعوجة

﴿ الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل ﴾

﴿ السادسة ﴾ : الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السانفة من غير تحكيم العقل والأخذ بالدلائل الصحيح وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله في طه « قال فمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبيلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا واربعوا أنعامكم » الخ وقال تعالى في القصص « فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مقترى وما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين . وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون » وقال عز ذكره في سورة المؤمنين « واقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره أفلا تتقون فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين » وقال تعالى في ص « وانطلق الملائكة منهم ان امشوا واصبروا على آهنتكم ان هذا

شيء، يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الاختلاق «
فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل
انه لم يكن عليه أسلافهم ولا عرفوه منهم، فانظر الى سوء مداركهم
وجود قرائنهم ولو كانت لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون
بها لعرفوا الحق بدليله وانقادوا لليقين من غير تعليله وهكذا
أخلافهم ووراثهم قد تشابهت قلوبهم

﴿ الاحتجاج على الحق بقلة أهله ﴾

﴿ السابعة ﴾ : الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد
الاعظم والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله فأنزل الله تعالى
ضد ذلك وما يظنه فقال في الانعام « وان تطع أكثر من في
الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم
الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »
قال كثره على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان
له بصيرة وقلب فالحق أحق بالاتباع وان قل أنصاره كما قال
تعالى « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من
الخطايا ينبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم » فأخبر الله عن أهل الحق انهم قليلون غير ان القلة
لا تضرم

تعبّرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلتُ لها إن الكرامَ قليلٌ (١)
 فالمقصود ان من له بصيرة ينظر الى الدليل ويأخذ ما يستتجه
 البرهان وان قل العارفون به المنقادون له ومن أخذ ما عليه الأكثر
 وما ألقته العامة من غير نظر لدليل فهو مخطيء سالك سبيل الجاهلية
 مقدوح عند أهل البصائر

﴿ الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً ﴾

﴿ اثامنة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً فرداً
 الله تعالى ذلك بقوله في هود « فلو لا كان من القرون من قبلكم
 أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلاً ممن أنجينا منهم
 واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » ومعنى الآية
 « فلو لا كان » تحضيض فيه معنى التفعّل ، أي فهلا كان « من
 القرون » أي الأقسام المقترنة في زمان واحد « من قبلكم أولو بقية »
 أي ذو خصلة باقية من الرأي والعقل أو ذو فضل على أن يكون
 البقية اسماً للفضل والهناء (٢) للنقل ومن هنا يقال فلان من بقية القوم
 أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ،
 « ينهون عن الفساد في الأرض » الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في
 قصصهم ، وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي ، « الا
 قليلاً ممن أنجينا منهم » استثناء منقطع أي واسكن قليلاً منهم أنجينا

(١) لسؤال (٢) أي عام الثابت في بقية ،

لكونهم كانوا ينفون

﴿ اتخذاع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم ﴾

﴿ التاسعة ﴾ : الاستدلال على المطلوب والاحتجاج بقوم

أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك ينعمهم من الضلال ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله سبحانه في الاحقاف « فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجبتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين . وقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » ومعنى الآية « وقد مكناهم » أي قوينا عاداً وأقدرناهم .

و« ما » في قوله تعالى فيما إن مكناكم فيه موصولة أو موصوفة و« ان » نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى « ألم يروا كم أهكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم » و« يكن النفي بلفظ « ما » كراهة لتكرير اللفظ وإن اختلف المعنى « وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً » يستعملونها فيما خفت له ويعرفوا

لكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ، ويستدل بها على شئون منعمها عز وجل ويدأوموا على شكره جل ثناؤه « فما أغنى عنهم سمعهم » حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ، « ولا أبصارهم » حيث لم يجتلبوا بها الآيات التكوينية المرسومة في صحائف العالم ، « ولا أفئدتهم » حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى « من شيء » أي شيئاً من الأشياء ومن مزيدة للتوكيد وقوله « إذ كانوا يجحدون بآيات الله » تعليل للنفي « وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن » من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون « فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » فهذه الآية تبطل الاحتجاج بقوم أعطوا ما أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك ينعمهم من الضلال . ألا ترى أن قوم عاد كما أخبر عنهم التنزيل كانوا من القوة والبسطة في الأموال والابدان والادراك وسعة الاذهان وغير ذلك مما لم يكن مثله للعرب الذين أدركوا الاسلام ومع ذلك ضلوا عن سواء السبيل وكذبوا الرسل بالباطيل فالتوفيق للايمان بالله ورسله والاذعان للحق وسلوك سبيله إنما هو فضل من الله تعالى لا الكثرة مال ولا حسن حال ومن يرد الحق ويستدل بكون من هو أحسن حالاً منه

لم يقبله ولم يحكم عقله ويتبع ما يوصله اليه الدلائل فقد سلك سبيل
الجاهلية وحاد عن المحجة المرضية ، ومثل هذه الآية قوله تعالى
« وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين » . كان اليهود يعلمون من كتبهم
رسالة محمد ﷺ ، أن الله سيرسل نبياً كريماً من العرب وكانوا قبل بعثته
يستفتحون على المشركين بعثته ويقولون يا ربنا أرسل النبي
الموعود برسالة حتى نتنصر على الأعداء فلما جاءهم ما عرفوا وهو
محمد ﷺ كفروا به حسداً منهم أن تكون النبوة في العرب وهم
بزعمهم أحسن أئاماً وراثياً ولم يعلموا أن النبوة والايان بها فضل
من الله يؤتية من يشاء . ومنها أيضاً قوله تعالى « الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون أحق من ربك فلاتكونن من المعتبرين » الضمير في قوله
يعرفونه عائد على العلم في قوله « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما
جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين » فكتمانهم الحق وعدم
جربهم على مقتضى علمهم لما فيهم من الجاهلية والاعتقاد ان فضل
الله مقصور عليهم لا يتعداهم الى غيرهم وآية الانعام موافقة لهذه
الآية لفظاً ومعنى وهي قوله تعالى « قل أي شيء أكبر شهادة قل

الله شهيد بيني وبينكم وأوحى اليّ هذا القرآن لآ نذركم به ومن بلغ أأنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو الله واحد واتى بريء مما تشركون . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون»

﴿ الخداع أهل الثروة بثروتهم ﴾

﴿ العاشرة ﴾ : الاستدلال بعطاء الدنيا على محبة الله تعالى . قال سبحانه « وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها أنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بعقد بين قل أن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بائي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون . والذين يسعون في آياتنا مُعاجزين أولئك في العذاب محضرون . قل أن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفتقتم من شيء فهو يُخلفه وهو خير الرازقين » وقال في سورة القصص « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ننذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك فاعلمهم يتذكرون . وولاً أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلناك

الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » وفي آية أخرى في سورة القصص يقول الله سبحانه « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآيناهم من الكنوز ما ان مفاتحه لتتوزع بالعبصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » الى آخر الآيات فقد كفانا الله تعالى ابطال هذه الخصلة الجاهلية بقوله في الآية الأولى « قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء » وفي الآية الاخرى بقوله « أولم يعلم ان الله » الخ فاعلمنا من ذلك ان محبة الله ورضاه الله إنما تكون بطاعته والالتقياد لرساله والاذعان للحق باتباع البرهان . وما كثرة من وسعة الرزق وعيش الرضا فلا دليل فيه على نجاة

المنعم عليه بمثل ذلك ولو كانت الدنيا وما فيها تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقى من عصاه شربة ماء قال سبحانه « ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون » وعلى ذلك قول القائل (١) :
 كم عالم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا (٢)
 ومما ينسب لبعض الأكابر :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللإعداء مال
 فان المال يقى عن قريب وان العلم باقى لا يزال
 والشواهد كثيرة والمقصود ان ما كان عليه أهل الجاهلية من كون زخارف الدنيا من الأدلة على قرب من حازها من الله وقبوله عنده فقول بعيد عن الحق ومذهب باطل لا ينبغي لمن له بصيرة أن يعول عليه

﴿ الاستخفاف بالحق لضعف أهله ﴾

﴿ الحادية عشرة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ الضعفاء به وضعف فهم من أخذ به على ما يدل عليه قول قوم نوح له كما حكاه عنهم الكتاب الكريم قال تعالى في سورة الشعراء « كذبت قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . أتى لكم

(١) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى المشهور بابن الرواحي الملقب

(٢) ويعدده : هذا بيتي ترك الأوهة حائرة وصيرتني كالحديد في البيت

رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن اجريَ الا على رب العالمين : فاتقوا الله وأطيعون . قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين . ان أنا الا نذير مبين « فانظر الى قوم نوح كيف استنكفوا من اتباع نبيهم لسبب اتباع الضعفاء له وذلك لكون مطمح أنظارهم الدنيا والآ لو كانت الآخرة همهم لاتبعوا الحق ايما وجدوه ولكن جاهليتهم أعرضوا عن الحق لاتباع شهواتهم . وانظر الى هرقل لما كان من العقل والبصيرة على جانب عظيم اعتقد اتباع الضعفاء دليلا على الحق فقال في جملة ما سأل ابا سفيان عن رسول الله ﷺ : وسألتك اشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع نوح . ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود « وقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين . ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم اليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلتنا بادي انراي وما نرى لك علينا من فضل بل نظنك كاذبين » الآيات

﴿ ودم النصر الحق بما ليس فيهم ﴾

﴿ الثانية عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية رمي من اتبع الحق بعدم الاخلاص وطلب الدنيا . فرد الله عليهم بقول نبيهم الذي

حكاه الله عن نوح في الآية الاولى المذكورة في المسألة الحادية عشرة بقوله « قالوا أنؤمن لك واتبعتك الأردلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون » . ومقصودهم ان اتباعك فقرا . آمنوا بك لينالوا مقصدهم من العيش لا ان ايمانهم كان لدليل يقتضي صحة ما جئت به ، فلهذا رد عليهم بما رد

﴿ التكبير عن نصرة الحق لان انصاره ضعفاء ﴾

﴿ الثالثة عشرة ﴾ : من خصائل الجاهلية . الاعراض عن الدخول في الحق الذي دخل فيه الضعفاء تكبراً وأنفة ، فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله في سورة الانعام « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتناً بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين » . ومثل ذلك قوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » وغير ذلك . وحاصل الرد ان من آمن من هؤلاء الضعفاء انما كان ايمانه عن برهان لا كزعم خصومهم ولست أنت بمستول عنهم ولا هم مستولين عن حسابك ، فطردهم عن باب الايمان من الظلم بمكان

﴿ استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً ﴾
 ﴿ الرابعة عشرة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم
 أولى به لو كان حقاً . قال تعالى في سورة الاحقاف « وقال الذين
 كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به
 فسيقولون هذا فلك قديم » بعد قوله « قل أرايتم ان كان من عند
 الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن
 واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين »

﴿ جهلهم بالجامع والفارق ﴾

﴿ الخامسة عشرة ﴾ : الاستدلال بالقياس الفاسد وانكار
 القياس الصحيح وجهلهم بالجامع والفارق . قال تعالى في سورة
 المؤمنین « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم
 يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في
 آياتنا الاولين . ان هو الا رجل به حنة فتربصوا به حتى حين »
 وقبل الآية « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه » شروع في بيان اهمال
 الناس وتركهم النظر والاعتبار فيما عند سبحانه وتعالى من النعم
 قبل هذه الآية ومن خافهم من زوالها وفي ذلك تخويف لقريش .
 وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه .
 فقال متعظفاً عليهم ومستميلاً لهم الى الحق « يا قوم اعبدوا الله » أي

اعبدوه وحده «مالك من آله غيره» استئناف مسوق لتعليل العبادة
 المأمور بها «أفلا تتقون» الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف
 على مقدر يقتضيه المقام أي أتعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى
 « ما لكم من إله غيره » فلا تتقون عذابه تعالى الذي يستوجبه
 ما أنتم عليه من ترك عبادته سبحانه وحده وإشراككم به عز وجل
 في العبادة مالا يستحق الوجود - لولا إيجاد الله إياه - فضلا عن
 استحقاق العبادة، فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه «فقال الملائة»
 أي الاشراف «الذين كفروا من قومه» وصف الملائة بالكفر مع
 إشراك الكل فيه الايدان بكلمة عراقتهم وشدة شكيتهم فيه
 وليس المراد من ذلك الا ذمهم دون التميز عن اشراف آخرين
 آمنوا به عليه السلام أو لم يؤمن به أحد من اشرافهم كما يفصح عنه
 قوله « ما تراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا » وهذا القول صدر
 منهم لعوامهم «ما هذا الا بشر مثلكم» أي في الجنس والوصف من
 غير فرق بينكم وبينه، وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع
 رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة، وصفوه بقوله سبحانه وتعالى
 «يريد أن يتفضل عليكم» اغضاباً للمخاطبين عليه عليه السلام واغراء
 لهم على معاداته . والتفضل ضرب الفضل وهو كناية عن السيادة كأنه

قيل يريد أن يسودكم ويتقدمكم بأدعاء الرسالة مع كونه مثلكم .
 «ولو شاء الله لانزل ملائكة» بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق
 على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أي ولو شاء الله
 تعالى إرسال الرسول لارسل رسال من الملائكة وانما قيل لأنزل
 لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال «ما سمعنا بهذا
 في آياتنا الاواين» هذا اشارة الى الكلام المتضمن الامر بعبادة
 الله عز وجل خاصة ، والكلام على تقدير مضاف أي ما سمعنا
 بمث هذا الكلام في آياتنا الماضية قبل بعثته عليه السلام . وقدر
 المضاف لان عدم السماع لكلام نوح المذكور لا يصلح للرد فان
 السماع منه كان في القبول «ان هو الا رجل به جنة» أي ما هو الا
 رجل به جنون أو جن يخبئونه ولذلك يقول ما يقول «قتربصوا به
 حتى حين» فاحتملوه واصبروا عليه وانتظروا لعله يفيق مما هو فيه
 محمول على مرامي حوائجهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما
 وصفوه عليه السلام به من البشرية واردة التفضل الى وصفه بما
 ترى وهم يعرفون انه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأرزقهم قولا
 وهو محمول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قائلهم الله تعالى أنى
 يؤفكون . وقيس الفاسد والصحيح والجامع والفارق مفصل في
 كتب الاصول ، فبين الرسل عليهم السلام وسائر الناس مشابهة من

جهة البشرية ولو ازمها الضرورية فيصح حينئذ قياس الرسل على غيرهم فيها وعليه قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم ». وبين الرسل والانبياء عليهم السلام وغيرهم من البشر فروق كثيرة منها أن الله تعالى اصطفاهم على الناس برسالاته وبكلامه ووحيه وخصهم بذلك فلا يقاس أحد من الناس بهم حينئذ من هذه الجهة كما لا يصح قياس غيرهم بهم في سائر خصائصهم التي فصلت في غير هذا الموضوع . فالجاهلية لم يميزوا بين القياس الصحيح والفاسد ولا عرفوا الجامع ولا الفارق كما سمعت من قياسهم الرسل على غيرهم وهكذا أتباعهم اليوم ومن هو على شاكلتهم

﴿ اتعولوا في الصالحين ﴾

﴿ السادسة عشرة ﴾ : اتعولوا في الصالحين من العلماء والاولياء كقوله تعالى في سورة التوبة « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » فاتخاذ أحبار الناس أرباباً يخللون ويحرمون ويتصرفون

في الكون ويتنادون في دفع ضرر أو جلب نفع من جاهلية الكتائبيين ،
ثم سرى الى غيرهم من جاهليه العرب ، ولهم اليوم بقايا في مشارق
الارض ومغاربها تصديقاً لقول النبي ﷺ « لتبعن سنن من كان
قبلكم » الحديث . حتى نرى غالب الناس اليوم معرضين عن الله
وعن دينه الذي ارتضاه متوغلين في البدع تائبين في أودية الضلال
معادين للكتاب والسنة ومن قام بهما فأصبح الدين منهم في أنين
والاسلاء في بلاء مبين . وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ الاعتذار بعدم الفهم ﴾

﴿ السابعة عشرة ﴾ : اعتذارهم عن اتباع الوحي بعدم الفهم
قال تعالى في سورة البقرة « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من
بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
أفكركم جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففرقنا كذبهم
وفرقياً تقتلون . وقالوا قلوبنا غلفت بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً
ما يؤمنون » وفي سورة النساء « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات
الله وقتلهم لأنبياً بغير حق وقولهم قلوبنا غلفت بل طبع الله عليها
بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » . الغلف جمع أغلف كاحمر وحمر ،
وهو الذي لا يفقه . وأصله ذو القلفة الذي لم يختن أو جمع غلاف
ويجمع على غلف بضمين أيضاً ، وأرادوا على الاول قلوبنا مغشاة

بأغشية خلقية مانعة عن نفوذ ماجئتَ به فيها . وهذا كقولهم قلوبنا في أكنة مما يدعوننا اليه . قصدوا به اقناط النبي ﷺ عن الاجابة وقطع طمعه عنهم بالكلية . ومنهم من قال معنى غلف مغشاة بعلوم من التوراة تحفظها أن يصل اليها ما تأتي به ، أو بسلامة من الفطرة كذلك . وعلى الثاني أنها أوعية العلم فلو كان ما تقوله حقاً وصدقاً لوعته . قال ابن عباس وقتادة والسدي : أو مملوءة علما فلا تسم بعدُ شيئاً فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره . ومنهم من قال : أرادوا أنها أوعية العلم فكيف يحل لنا اتباع الامي . ولا يخفى بعده . وقال تعالى في سورة هود « ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصابكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم يبعيد . واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه إن ربي رحيم ودود . قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز » وهذه الآية بمعنى الآية الاولى . وقد كذبهم الله تعالى في دعواهم هذه في آيات كثيرة وذكر أن السبب في عدم الفهم انما هو الطبع على القلوب بكفرهم لا التصور في انبياء والتفهيم . وما أحسن قول القائل (١) :

والنجمُ تستصغرُ الابصارُ صورته
والذنبُ للطرف لا للنجم في الصغر

﴿ انكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم ﴾

﴿ الثامنة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية أنهم لا يقبلون من الحق إلا ما تقول به طائفتهم قال تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ». ومعنى « نؤمن بما أنزل علينا » أي نستمر على الايمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل في تقرير حكمها، ومرادهم بضمير انكم بما أنبياء بني اسرائيل وهو الظاهر وفيه إيحاء الى أن عدم ايمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم واما أنفسهم . ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام. واذموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ودسائس اليهود مشهورة ، أو لانهم تأولوا الامر المطلق العام ونزوله على خاص هو الايمان بما أنزل عليهم كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه . ويكفرون بما وراءه وهو الحق أي هم مقارنون حقيقته أي عالمون بها « مصدقاً لما معهم » لان كتب الله

يصدق بعضها بعضاً ، فالتصديق لازم لا ينتقل وقد قررت مضمون الخبر لأنها كالأستدلال عليه ولهذا تضمنت رد قولهم : نؤمن بما أنزل علينا حيث أن من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها . « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » أمر النبي ﷺ أن يقول ذلك تبكيئاً لهم حيث قتلوا الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة وهي لانسوتغ

﴿ التمسك بخرافات السحر ﴾

﴿ التاسعة عشرة ﴾ : من خصالم الاعتياض عن كتاب الله تعالى بكتب السحر كما قال تعالى في سورة البقرة « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ماتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » والكلام على هذه الآية في التفاسير مشهور . وهذه الخصلة الجاهلية موجودة اليوم في كثير من الناس ، لاسيما من تنسب الى

الصالحين وهو عنهم بمراحل ، فيتعاطى الاعمال السحرية من امساك الحيات وضرب السلاح والدخول في النيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله فأعرضوا ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما ألقاه اليهم شياطينهم وادعوا أن ذلك من الكرامات مع أن الكرامة لا تصدر عن فاسق ومن يتعاطى تلك الاعمال فسقهم ظاهر للعيان ولذا اتخذوا دينهم لعباً وهواً ، وفي مثلهم قال تعالى « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

﴿ التناقض في الانتساب ﴾

﴿ العشرون ﴾ : تناقضهم في الانتساب فينتسبون الى ابراهيم عليه السلام والى الاسلام ، مع اظهارهم ترك ذلك والانتساب الى غيره .

﴿ صرف النصوص عن مدلولاتها ﴾

﴿ الحادية والعشرون ﴾ : تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . ولكم في هذا العصر من هو على شاكرتهم تراء يصرف النصوص ويأوتها الى ما يشتهي من الأهواء

﴿ تحريف كتب الدين ﴾

﴿ الثانية والعشرون ﴾ : تحريف العلماء لكتب الدين . قال الله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا انماي وان هم

الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون « ومن نظر الى قضاة هذا الزمان وما تلاءموا به من الاحكام وصرف النصوص الى ما تهواه أنفسهم وتبديل الحق وابطاله بما ينالونه من الرشى وغير ذلك مما هم عليه اليوم تبين له من ذلك بحر لاساحل له . وهكذا بعض المتدعة وغلاة القبور ، وقد يتن حالهم في غير هذا الموضع

﴿ الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها ﴾

﴿ اثناثة والعشرون ﴾ : وهي من أعجب المسائل والخصائص معاداة الدين الذي انتسبوا اليه أشد العداوة ، وموالاتهم لمذهب الكفار الذين فارقوهم أكل الموالاة ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر وهو من دين آل فرعون ، ومثل هؤلاء في الأمة الاسلامية كثير هجروا السنة وعادوها ونصروا أقوال الفلاسفة وأحكامهم

﴿ كفرهم بما مع غيرهم من الحق ﴾

﴿ الرابعة والعشرون ﴾ : انهم لما افترقوا وكل طائفة لاتقبل من الحق الا ما قالته طائفتهم وكفروا بما مع غيرهم من الحق . قال تعالى في سورة البقرة « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء

وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب
كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة
فما كانوا فيه يختلفون ، ولا شك ان هذا من خصال الجاهلية وعليها
اليوم كثير من الناس لا يعتقد الحق الا معه لا سيما أرباب المذاهب
يرى كل أهل مذهب ان الدين معه لا يعدوه الى غيره وكل حزب
بما لديهم فرحون

وكل يدعى وصلابليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

والحزم أن ينظر الى الدليل فما قام عليه الدليل فهو الحق
الآخري ان يتلقى بالقبول وما ليس عليه برهان ولا حجة ينبذ وراء
الظهور وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد الا من اصطفاه الله لرسالته
﴿ دعاء كل طائفة حصر الحق فيها ﴾

﴿ الخامسة والعشرون ﴾ : انهم لما سمعوا قوله ﷺ في
حديث الفرق « وستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار
الا واحدة » ادعى كل فرقة انها هي الناجية كما حكى الله تعالى
عن اليهود والنصارى في قوله تعالى « وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » مع
أن النبي ﷺ بين في آخر الحديث المراد من الفرقة الناجية
فقال « وهم ما كنت أنا عليه وأصحابي » أو كما قال ، ورد الله تعالى
عليهم بقوله « وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى

تلك أمانتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا يحزنون» والمقصود أنهم ليس لهم برهان على هذه الدعوى بل الدليل على خلاف ذلك ، وأبو العباس تقي الدين تكلم على حديث الفرق في كتابه (منهاج السنة) بما لا مزيد عليه حيث استدلل به الرافضي على حقيقة مذهبه وبطلان مذهب أهل السنة ، فراجع ان اردته

﴿ أنكر ما أقروا انه من دينهم ﴾

﴿ السادسة والعشرون ﴾ : انهم أنكروا ما أقروا انه من دينهم كما فعلوا في حج البيت فتمبدوا بالنكاره والبرامة منه مع ذلك الاقرار كما قال تعالى في سورة البقرة « وإذ جمعنا لبيت مثابة للناس وامنا وانخذوا من مقام ابراهيم مصلى » الى أن قال « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنبيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لك الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون »

يقال ان سبب نزول قوله « ومن يرغب » الخ ما روى ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال : قد علمنا ان الله تعالى قال في التوراة « اتي باعث من ولد اسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اعتسى وارشده ، ومن لم يؤمن به

فهو ملعون ، فأسلم سلمة وأبو مهاجر فقتلت . انتهى
﴿ المجاهرة بكشف العورات ﴾

﴿ السابعة والعشرون ﴾ : المجاهرة بكشف العورات . قال
تعالى في سورة الاعراف « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله
ملا تعلمون ، قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل
مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون » قال بعض
الفسرين : الفاحشة هنا الفعلة القبيحة المتناهية في القبح ، والتاء اما
لأنها مجرأة على الموصوف الثوث أي فعلة فاحشة ، واما للنقل من
الوصفية الى الاسمية والمراد بها هنا عبادة الأصنام وكشف العورة
في الطواف ونحو ذلك . وعن غيره ، تخصيصها بكشف العورة وفي
الآية حذف أي : واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها
آبائنا والله أمرنا بها محتجين بأمرين : بتقليد الآباء ، والاقتران
على الله . وكان من سنة الحرس انهم لا يخرجون أيام الموسم الى
عرفات ، انما يقفون بالمزدلفة . وكانوا لا يسلاون ولا يأقطنون
ولا يرتبطون عتراً ولا بقرة ولا يغزلون صوفاً ولا وبراً ولا يدخلون
بيتاً من الشعر والمدر وانما يكتبون بالقياب الحرف في الاشهر الحرم ،
ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الخل اذا دخلوا
الحرم وأن يتركوا ثياب الخل ويستبدلوها بثياب الحرم إما شراء

وإما عارية وإما هبة ، فان وجدوا ذلك فيها والا طافوا بالبيت
عرايا . وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير ان المرأة كانت
تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير . قالت امرأة (١) وهي
تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحلّه
أختم مثل القعب بادِرِ ظله كأن حُمى خيبر تمّله

وكافوا العرب ان يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من
عرفة الى غير ذلك من الأمور التي ابتدعوها وتشرعوها مما لم يأذن
به الله . ومع ذلك انهم كانوا يدعون انهم على شريعة أبيهم ابراهيم
عليه السلام وما ذلك الا جاهليتهم

وغالب من ينتمي الى الاسلام اليوم ابتدعوا في الدين ما لم
يأذن به الله : فمنهم من اتخذ ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة
يتعبدون بها في بيوت الله ومساجده ، ومنهم من اتخذ الطواف على
القبور والسفر اليها والندور اخلص عبادته وأفضل قرباته ، ومنهم
من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانية وزعم أنه سلك سبيل الزهاد
وطريق العباد ومقصده الأعلى نيل شهواته الحيوانية والفوز بهذه
الدنيا الدنية ، الى غير ذلك مما يطول ولا يعلم ماذا يقول

الى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

(١) هي ضباعة بنت عمر بن صعصعة

﴿ التعبد بتحريم الحلال ﴾

﴿ الثامنة والعشرون ﴾ : التعبد بتحريم الحلال فردة الله تعالى عليهم ذلك بقوله تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي لآئدين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي وبغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون ، ومعنى الآيات : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند طواف أو صلاة ، وسبب النزول انه كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعاق على سفها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحر من الذباب وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
فأنزل الله تعالى هذه الآية « وكلوا واشربوا »
قال السكبي : كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يرسل الله نحن أحق بذلك ، فأنزل الله تعالى الآية

وفيه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا « ولا تسرفوا » بتحريم الحلال كما هو المناسب لسبب النزول ، « انه لا يحب المسرفين » بل يبغضهم ولا يرضى أفعالهم . « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به وخلقها انفسهم من الثياب كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف « والطيبات من الرزق » أي المستلذات ، وقيل المحللات من المآكل والمشرب كالحم الشاة وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم بالاصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى ، والكفرة وان شاركهم فيها فباتبع فلا اشكال في الاختصاص « خالصة يوم القيامة » أي لا يشاركهم فيها غيرهم « كذلك نفصل الآيات تقوم يعلمون » أي مثل تفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لمن يعلم ماني تضاميتها من المعاني الرائقة . « قل انما حرم ربي الفواحش » أي ما تزايد قبحه من المعاصي ومنه ما يتعلق بالفروج ، « ما ظهر منها وما بطن » بدل من الفواحش ، أي جهرها وسرها ، وعن البعض « ما ظهر » الزنا علانية « وما بطن » الزنا سرا وكانوا يكرهون الاول ويفعلون الثاني فنهوا عن ذلك مطلقاً . وعن مجاهد « ما ظهر » التعري في الطواف « وما بطن » الزنا . والبعض يقول : الاول طواف الرجال بالنهار والثاني طواف النساء بالليل عاريات . « والائمه » أي ما يوجب الائم وأصله الدم ثم أطلق على ما يوجب من مطلق الذنب ، وذكر

لتعميم بعد التخصيص بناء على ما تقدم من معنى الفواحش . ومنهم من قال : ان الائم هو الخمر وعليه أهل اللغة ، وأنشدوا له قول الشاعر :

نهانا رسولُ الله أن تقرب الزنا
وأن تشرب الائم الذي يوجب الوزرا
وقول الآخر :

شربت الائم حتى ضل عقلي
كذلك الائم يذهب بالعقول

«والبغي بغير الحق» وهو الظلم والاستطالة على الناس، وأفرد بذلك بناء على التعميم فيما قبله أو دخوله في الفواحش المباحة في الزجر عنه «وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» بالأحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم: والله أمرنا بها . ولا يخفى أن متصوفة زماننا على هذه الخصلة الجاهلية فقد حرموا على أنفسهم زينة الله والطيبات من الرزق ليعتقد الناس صلاحهم وابتدعوا الخلوات والرياضات وغير ذلك من شعائرهم في المأكل والملبس وسائر شئونهم وما دروا أنهم بذلك من اقوم الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿الاحاد في اسماء الله سبحانه وصفاته﴾

﴿التاسعة والعشرون﴾ : الاحاد في اسمائه وصفاته . قال سبحانه في سورة الاعراف « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » تفسير هذه الآية : « ولله الاسماء الحسنى » تنبيه المؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخامين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعمما يليق بشأنه أثر بيان غفلاتهم التامة وضلاتهم الطامة « فادعوه بها » إيمان الدعوة بمعنى التسمية كقولهم دعوتك زيداً أو يزيد أي سميتك ، أو النداء بمعنى النداء كقولهم دعوت زيداً أي ناديتك ، « وذروا الذين يلحدون في اسمائه » أي يبلون وينحرفون فيها عن الحق الى الباطل يقال ألحد اذا مال عن القصد والاستقامة ، ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح فإنه في وسطه . والاحاد في اسمائه سبحانه أن يسمى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسداً كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي ونحو ذلك ، فالمراد بترك الأمور به الاجتناب عن ذلك ، وباسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون بها . وقال تعالى « كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم انتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم

يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه
متاب ، وهذه الآية في سورة الرعد . عن قتادة وابن جريج
ومقاتل ان الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح
يوم الحديبية وقد كتب فيه علي عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم
فقال سهيل بن عمرو ما نعرف الرحمن إلا مسيلة ، ومنهم من قال
سمع أبو جهل قول رسول الله ﷺ يا الله يا رحمن فقال : ان محمداً
ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت . وعن بعضهم أنه
لما قيل للكفار قريش : اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت .
وقيل غير ذلك مما يطول . وقال تعالى « وقانوا الجلودهم لِمَ شهدتم
علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة
واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم
ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذاكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم أوردكم فأصبحتم من الخاسرين » . من سورة
حم السجدة . وفي هذه الآية أخبار أن أهل الجاهلية كانوا يلحدون
في صفاته كما كانوا يلحدون في أسماءه تعالى . أخرجه أحمد والبخاري
ومسلم والترمذي والنسائي وجماعة عن ابن مسعود (١) قال : كنت

(١) في الأصل : بني مسعود ، وهو خطأ صححناه من فتح الباري (٢٩٧ : ٨)
ونيسر نوصول (١ : ١٢٥)

مستنداً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفني
 وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل عفة قلوبهم فتكلموا بكلام لم
 أسمعه . فقال أحدهم : أترون الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر
 إنا إذا رفعنا أصواتنا يسمعه وإذا لم نرفع لم يسمع . فقال الآخر :
 إن سمع منه شيئاً سمعه كما . قال فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأ نزل
 الله تعالى « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا
 جلودكم ولكن ظننتم أن الله يعلم كثيراً مما تعملون — إلى قوله —
 من الخاسرين » . فهذا هو الإلحاد في الصفات . وأنت تعلم أن
 ما عليه أكثر المتكلمين المنسفين من الإلحاد في الأسماء والصفات
 فوق ما كان عليه أهل الجاهلية فسماوا الله بأسماء ما أنزل الله بها
 من سلطان . ومنهم من قال ليس لله صفات قامت به ، ومنهم من
 قل صفاته ليست عين ذاته ولا غيره ، ومنهم من قل إن صفاته
 غيره ، ومنهم من قل إن الله لا يتكلم بالكتب التي أنزلها وأثبتوا له
 الكلام النفسى وأنه لم يكلم أحداً من رسله ، إلى غير ذلك من
 الإلحاد الذي حشوا به كتبهم وملاؤها من هذا الهديان وظنوا أن
 الآية مختصة بأهل الجاهلية وما دروا أنهم الفرد الكامل لعمومها
 ومن بصره الله تعالى ونور قلبه أعرض عن أخذ عقائده من كتب
 هؤلاء الطوائف وتلقى معرفة إلهه من كتب السلف المشتملة على
 نصوص الكتاب والسنة

﴿ نسبة النقائص الى الله سبحانه ﴾

﴿ الثلاثون ﴾ : نسبة النقائص اليه سبحانه كالولد والحاجة فان
النصارى قالوا : المسيح ابن الله ، وطائفة من العرب قالوا : الملائكة
بنات الله ، وقوم من الفلاسفة قالوا بتوليد العقول ، وقوم من اليهود
قالوا العزيز ابن الله الى غير ذلك . وقد نزه الله نفسه عن كل ذلك
ونفاه عنه بقوله تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً أحد » وبقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد
الله وانهم لكاذبون » وقوله « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم
وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع
السموات والارض التي يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخالق كل
شيء وهو بكل شيء عليم » وهذا يعم جميع الانواع التي
تذكر في هذا الباب عن بعض الامم كما أن ما نفاه من اتخاذ الولد
يعم أيضاً جميع أنواع الاتخاذات لا اصطفاؤه كما قال تعالى « وقالت
اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم
بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك
السموات والارض وما بينهما واليه المصير » قال السدي : قالوا ان
الله تعالى أرحم الى اسرائيل ان ولدك بكرى من الولد فأدخلهم
النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي

مناد اخرجوا كل مختون من بني اسرائيل وقد قال الله تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله » وقال « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن » وقال تعالى « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً » وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني آله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال سبحانه وتعالى « وقال الله لا تتخذوا الآهين انما هو آله واحد قايى فارهبون وله ما فى السماوات والارض وله الدين واصبا » الى قوله « ويجعلون لى لا يعلمون نصيبا » الى قوله « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » وقال الله تعالى « ولا تجعل مع الله آهآ آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً . أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثاً انكم لتقولون قولاً عظيماً . ولقد صرفنا فى هذا القرآن لىذكروا وما يزيدهم الا نفوراً » « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذآ لا بتغوا الى ذى العرش سبيلاً » وقال « فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون » أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون الا انهم

من انكهم ليقولون وَاَللهِ وَاَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ اصطفى البنات على
البنين ما لكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبين
فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد
علمت الجنة انهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون الا عباد الله
المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صالح
الجحيم ، وقال « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثائمة الأخرى
الكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى ان هي الا أسماء
سميتوها أنتم وآبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون
الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى - الى
قوله - ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليمون الملائكة تسمية
اللاتى . وقال تعالى « وجعلوا له من عباده جزءا » قال بعض
المفسرين جزءا أي نصيبا وبعضا ، وقال بعضهم : جعلوا لله
نصيبا من الولد . وعن قتادة ومقاتل عدلاء ، وكلا القولين صحيح
فانهم يجعلون له ولداً وتولد يشبه أباه ، ولهذا قال « واذا بشر
أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسودا » أي البنات كما قال
في الآية الأخرى « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا
وهو كظلم » فقد جعلوها للرحمن مثلا وجعلوا له من عباده جزءاً
فان الولد جزء من الوالد قال ﷺ « انما فاطمة بضعة مني » وقوله :
« وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير

علم « قال السكبي نزلت في الزنادقة قالوا ان الله وابليس شريكان
خالق النور والناس والدواب ، وابليس خالق الظلمة
والسباع والحيات والعقارب . وأما قوله « وجعلوا بينه وبين الجنة
نسباً » فقيل : هو قوطم الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنّاً
لاختفائهم عن الابصار وهو قول مجاهد وقادة . وقيل قالوا
خي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس : هم بنات الله .
وقال السكبي قالوا لعنهم الله بل بذور يخرج منها الملائكة وقوله
« خر قوا له بنين وبنات بغير علم » قال بعض المفسرين : هم كفار
العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله ، واليهود قالوا عزير ابن
الله والذين كانوا يقولون من العرب ان الملائكة بنات الله وما
نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له الملائكة فقد نفاه عنه
بامتناع صاحبة وبامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد . وقوله « ولم
يكن له صاحبة » وهذا لأن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء
في ذلك تولد الاعيان - التي تسمى الجواهر - وتولد الاعراض
والصفات ، بل ولا يكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد
فاذا امتنع أن تكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد ، وقد علموا
كلهم أن لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من
الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبة فلماذا احتج بذلك عليهم .

وما حكى عن بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر وذلك ان كان قد قيل فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة ، وكذلك ما قاله النصارى من أن المسيح ابن الله وما قاله طائفة من اليهود ان العزيز ابن الله فانه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا . وتعام الكلام في هذا المقام في كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) و(تفسير سورة الاخلاص) وغيرها من كتب شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه

﴿ تنزيههم المخلوق عما نسبوه للمخلوق ﴾

﴿ المسألة الحادية والثلاثون ﴾ : تنزيه المخلوق عما نسبوه للمخلوق مثل تنزيه احوارهم عن اولاد والزوجة لأنهم يقولون ان الراغبين في استحصان السكيات كالرهبان واضرابهم يترفعون عن أن يتدنسوا بدناءة الختم بالنساء اقتداءً بالمسيح عليه السلام . فانظر الى سخافة العقول وما قادم اليه ضلالهم حتى اعترضوا على سيدنا ومولانا محمد ﷺ في زواجه . وما أحسن ما قال الفاروقي (١) رداً على بعض احوار النصارى بقوله :

قل للفرستل قدوة الرهبان الجائليق البترك الرباني
أنت الذي زعم الزواج تقيصة ممن حماه الله عن تقصان

(١) عبد الباقي العمري من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري

ونسيت تزويج الآله بمریم في زعم كل مثلث نصراني
ومن جعل من العرب الملائكة بنات الله كان يأنف منهن
وسنّ وأدهن وقتلن ونسبوا لله ما يكرهون . والمقصود ان هذه
المقالات وأشباهاها منشأها الجهل بما جاءت به الرسل وعدم تحكيم
العقل والأفاهل البصائر لا يتطرق اليهم هذا الخلل والله الموفق
﴿ قولهم بالتعطيل ﴾

﴿ الثانية والثلاثون ﴾ : القول بالتعطيل كما كان يقوله آل
فرعون . والتعطيل انكار أن يكون للعالم صانع كما قال فرعون لقومه
« ما علمت لكم من إله غيري » ونحو ذلك ولم يخل العالم عن مثل
هذه الجهالات في كل عصر من العصور ، وابتداء هذا الزمان الا
النادر على هذه العقيدة الباطلة ، ولو نظروا بعين الانصاف والتدبر
لعلموا أن كل موجود في العالم يدل على خاتمه وبارئته :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ومن أين للطبيعة ايجاد مثل هذه الدقائق التي نجدها في
الآفاق والأفانق وهي عديدة الشعور لا علم لها ولا فهم . تعالى الله
عما يقولون علواً كبيراً

﴿ الشركة في الملك ﴾

﴿ الثالثة والثلاثون ﴾ : الشركة في الملك كما تقوله المجوس .

والمجوس أمة تعظم الانوار والتيران والماء والأرض ويقرون بنبوة زرادشت ولهم شرائع يصيرون اليها . وهم فرق شتى منهم المزدكية اصحاب مزدك الموبذ والموبذ . عندهم العالم القدوة ، وهؤلاء يزون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء والطرق وغيرها . ومنهم الخرمية اصحاب مالك الخرمي وهم شر طوائفهم لا يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسماعيلية والتصيرية والنسكية والورزية والحاكية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفانون في التفضيل . فالمجوس شيوخ هؤلاء كلهم وائمتهم وقدوتهم وان كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعهم وهؤلاء لا يتقيدون بدين من دينات العالم ولا بشرعية من الشرائع

﴿ انكار النبوات ﴾

﴿ الرابعة والثلاثون ﴾ : انكار النبوات . وكانوا يقولون ما حكى الله عنهم بقوله في الانعام : اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتدره قل لا اسألكم عليه أجراً ان هو الا ذكرى للعالمين . وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء . قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس فجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمهم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون « تفسير هذه الآية قوله « وما قدروا الله » شروع في تقرير أمر النبوة بعد ما حكى سبحانه عن ابراهيم عليه السلام أنه ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك وقرر سبحانه ذلك بأوضح الدليل بأوضح وجه « حق قدره » أي حق معرفته . وعن بعضهم ما عظموا الله حق تعظيمه إذ قالوا منكرين ببعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما « ما أنزل الله على بشر من شيء » أي شيئاً من الاشياء . واختلف في قائل ذلك القول الشنيع ، فمن مجاهد أنهم مشركو قريش والجهور على أنهم اليهود . ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته ﷺ على سبيل تمباغة ، فقبل له على سبيل الالتزام « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى » فإن المراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا سبيل لكم الى انكار ذلك ، فلم لا تجوزون انزال القرآن على محمد ﷺ . والكلام في اثبات النبوات مفصل في غير هذا الموضوع . والمقصود ان انكارها من سنن الجاهلية ، وفي الناس اليوم كثير ممن هو على شاكلتهم ومعوج طريقهم

﴿ جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله ﴾

﴿ الخامسة والثلاثون ﴾ : جحود القدر والاحتجاج به على الله تعالى ومعارضة شرع الله بقدر الله . وهذه المسألة من غوامض مسائل الدين والوقوف على مرها عشر إلا على من وفقه الله تعالى ، ولا ين

القيم كتاب جليل في هذا الباب سماه (شفاء العليل ، في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وقد أبتل الله سبحانه هذه العقيدة الجاهلية بقوله تعالى في آخر سورة الانعام « سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء . كذلك کذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هو عندکم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن وان أنتم الا تخرصون ، قل فلاة الحجاة البائغة فلو شاء لهداکم اجمعين » تفسير هذه الآية « سيقول الذين اشرکوا « حکاية لئن آخر من اباطيلهم « لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » لم يريدوا بهذا الکلام الاعتذار عن ارتکاب القبيح إذ لم يعتقدوا قبح أفعالهم ، بل هم كما نطقت به الآيات يحسبون انهم يحسنون صنعا وانما يعبدون الاصنام يقربوهم الى الله زائفي وان التحريم انما کان من الله عز وجل فما مرادهم بذلك الا الاحتجاج على أن ما ارتکبوه حق ومشروع ومرضي عند الله تعالى ، على أن المشيئة والارادة تساوي الأمر وتستلزم الرضا كما زعمت المعتزلة فيكون حاصل کلامهم ان ما ارتکبه من الشرك والتحريم وغيرها تعلقت به مشيئة الله تعالى وارادته وكل ما تعلقت به مشيئته سبحانه وارادته فهو مشروع ومرضي عند الله تعالى . وبعد أن حکى سبحانه وتعالى ذلك عنهم رد عليهم بقوله عز من قائل « كذلك کذب الذين من قبلهم » وهم أسلافهم

المشركون . وحاصله أن كلامهم يتضمن تكذيب الرسل عليهم السلام وقد دلت المعجزة على صدقهم . أو تقول حاصله ان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، وكل ما هذا شأنه فلا تكليف به لسكونه مشروطا بالاستطاعة فينتج أن ما ارتكبه من الشرك وغيره لم يتكلف بتركه ولم يبعث له نبي . فردّ الله تعالى عليهم بأن هذه كلمة صدق أريد بها باطل لأنهم أرادوا بها أن الرسل عليهم السلام في دعواهم البعثة والتكليف كاذبون . وقد ثبت صدقهم بالدلائل القطعية ، والكون ذلك صدقاً أريد به باطل ذمهم الله تعالى بالتكذيب . ووجوب وقوع متعلق المشيئة لا ينافي صدق دعوى البعثة والتكليف لأنها لاظهار الحجّة وابلغ الحجّة «حتى إذا ذاقوا بأسنا» أي نالوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم بتكذيبهم وفيه إيحاء إلى أن لهم عذاباً مدخراً عند الله تعالى لان الذوق أول ادراك الشيء . « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » أي هل لكم من علم بأن الأشراك وسائر ما أنتم عليه مرضي لله تعالى فتظهروه لنا بالبرهان ؟ وهذا دليل على أن المشركين هم استوجبوا التوبيخ على قولهم ذلك لأنهم كانوا يهزون بالدين ويبنون رد دعوة الانبياء عليهم السلام حيث قرع مسامعهم من شرائع الرسل عليهم السلام تفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى ، فعين طالبوهم بالاسلام والتزام الأحكام احتجوا عليهم بما أخذوه من كلامهم مستهزئين بهم عليهم الصلاة والسلام

ولم يكن غرضهم ذكر ما ينطوي عليه عقدهم كيف لا والايان بصفات
الله تعالى فرع الايمان به عز شأنه وهو عنهم مناط العيوق . « ان
تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخرسون » أي تكذبون على الله
تعالى « قل فله الحجة البالغة » أي البينة الواضحة التي بلغت غاية
المتانة والقوة على الاثبات والمراد بها في المشهور الكتاب والرسول
والبيان « فلو شاء لهداكم اجمعين » بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن
شاء هداية البعض الصارفين اختيارهم الى سلوك طريق الحق ،
وضلال آخرين صرفوه الى خلاف ذلك . ومن الناس من ذكر
وجهاً آخر في توجيه ما في الآية ، وهو ان الرد عليهم انما كان
لاعتقادهم انهم مسلمون اختيارهم وقدرتهم وان اشراكهم انما صدر
منهم على وجه الاضطرار وزعموا انهم يقيمون الحجة على الله تعالى
ورسوله عليه الصلاة والسلام بذلك فرد الله تعالى قوتهم في دعواهم
عدم الاختيار لأنفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب
الرسول واشرك بالله عز وجل واعتمد على انه انما يفعل ذلك بمشيئة
الله تعالى ورام افحام الرسل بهذه الشبهة . ثم بين سبحانه انهم
لا حجة لهم في ذلك وان الحجة البالغة له تعالى لا لهم ثم أوضح
سبحانه أن كل واقع واقع بمشيئته ، وانه لم يشأ منهم الا ما صدر
عنهم وانه تعالى لو شاء منهم الهداية لاهتدوا اجمعون . والمقصود أن
يتمحض وجه الرد عليهم وتخص عقيدة نفوذ السنة وعموم تغلقها .

بكل كائن عن الرد وينصرف الردّ الى دعواهم سلب الاختيار لأنفسهم وان اقامتهم الحجة بذلك خاصة واذا تدبرت الآية وجدت صدرها دافعاً لصدور الجبرية وعجزها معجزاً للمعتزلة إذ الأول مثبت أن للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والمعصيان . والثاني مثبت نفوذ مشيئة الله تعالى في العبد وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الالهية وبذلك تقوم الحجة البالغة لأهل السنة على المعتزلة ، والحمد لله رب العالمين . ومنهم من وجه الآية بأن مرادهم ردّ دعوة الانبياء عليهم السلام على معنى أن الله تعالى شاء شركنا وأراده منا وأنتم تخالفون ارادته حيث تدعوننا الى الايمان ، فوبخهم سبحانه وتعالى بوجوه عدّة منها قوله سبحانه « فله الحجة البالغة » فانه بتقدير الشرط أي اذا كان الامر كما زعمتم « فله الحجة البالغة » ، وقوله سبحانه « فلو شاء » بدل منه على سبيل البيان أي لو شاء للدل كلاً منكم ومن يخالفكم على دينه فلو كان الامر كما تزعمون لكان الاسلام أيضاً بالمشيئة فيجب أن لا تمنعوا المسلمين من الاسلام كما وجب بزعمكم أن لا تمنعكم الانبياء عن الشرك فيلزمكم أن لا يكون بينكم وبين المسلمين مخالفة ومعاداة بل موافقة وموالاته . وحاصله أن ما خالف مذهبكم من النحل يجب أن يكون عندهم حقاً لانه بمشيئة الله تعالى فيلزم تصحيح الاديان المتناقضة . وفي سورة النحل « وقال الذين

اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمانا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين « الكلام على هذه الآية كالكلام على الآية السابقة ولا تراهم يتشبهون بالمشيئة الا عند انخزال الحجة ألا ترى كيف ختم بنحو آخر مجادلاتهم في سورة الانعام في الآية السابقة ، وكذلك في سورة الزخرف وهو قوله تعالي « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستمكتب شهادتهم ويسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون . أم آتيتهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون » ويكفي في الانقلاب ما يشير اليه قوله سبحانه « قل فلاة الخجة البالغة » والمراد بما حرموه السوائب والبخائر وغيرها ، وفي تخصيص الاشتراك والتحریم بالنفي لانها أعظم وأشهر ما هم عليه . وغرضهم من ذلك تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن في الرسالة رأسا فان حاصله أي ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، فلو أنه سبحانه وتعالى شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئا ونحال ما أحله ولا نحرّم شيئا مما حرّمنا كما تقول الرسل وينقلونه من جهته تعالى لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وتحليل ما أحله وعدم تحريم شيء من ذلك وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ

شيئاً من ذلك ، بل شاء ما نحن عليه وتحقق ان ما يقوله الرسل عليهم السلام من تلقاء أنفسهم. فرد الله تعالى عليهم بقوله « كذلك فعل الذين من قبلهم » من الأمم أي أشركوا بالله تعالى وحرموا من دونه ما حرموا وجادلوا رسالهم بالباطل ليدحضوا به الحق « فقل على الرسل الا البلاغ المبين » أي ليست وظيفتهم الا البلاغ للرسالة الموضح طريق الحق والمظهر أحكام الوحي التي منها تحتم تعلق مشيئته تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق بقوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وأما الجاؤم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاءوا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي يتوقف عليها التكليف حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقيقة الرسل عليهم السلام أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك ، فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من الالتماس لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين . والكلام على هذه الآية ونحوها مستوفى في تفسير روح المعاني وغيره . فبحهود القدر والاحتجاج به على الله ومعارضة شرع الله بقدره كل ذلك من ضلالات الجاهلية والمقصود انه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين فمن زلت قدمه عن هذه الجادة كان على ما كان عليه أهل الجاهلية وهي الطريقة

التي ردّ عليها الله سبحانه ورسوله ﷺ

﴿ مسبة الدهر ﴾

﴿ السادسة والثلاثون ﴾ : مسبة الدهر . كقولهم في سورة الجاثية « وما يهلكنا الا الدهر » وذلك أن الله تعالى أراد بيان أحكام ضلالهم والختم على سمعهم وقلوبهم وجعل غشاوة على أبصارهم فحكى عنهم ما صدر عنهم بقوله سبحانه وتعالى « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا » التي نحن فيها « نموت ونحيا » أي نموت طائفة ونحيا طائفة ولا حشر أصلا . ومنهم من قال أن كثيرا من عباد الأصنام كان يقول بالتناسخ ، وعليه فالمراد بالحياة إعادة الروح لبدن آخر « وما يهلكنا الا الدهر » أي طول الزمان . واستنادهم الاهلاك في الدهر انكار منهم من الموت وقبضه الأرواح بأمر الله تعالى وكانوا يستندون احداث مطلقا اليه لجهلهم انها مقدره من عند الله تعالى وأشعارهم لذلك تنوءة من شكوى الدهر ^(١) وهؤلاء معترفون

(١) مثل قول قائلهم .

كبر العناء ومر العشي

ثبات صغير رفقي كبير

ومن قول الآخر .

ربنوعيبا من حيث نتمني

سبع المقار ثبات الشمس

وقال الآخر .

فلو نثر في غشاه من نيل

بعض الدهر .

كسرت الصل على الصل

وكنت يا حسبي ناسه

والشعر في ذلك قبيح ومذموم

بوجود الله تعالى فهم غير الدهرية فانهم مع اسنادهم الحوادث الى
 الدهر لا يقولون بوجوده « سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً »
 والكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير . وقد جاء النهي عن سب
 الدهر أخرج مسلم « لا يسب أحدكم الدهر ، فان الله هو الدهر » وفي
 رواية لأبي داود والحاكم قال الله عز وجل « يؤذيني ابن آدم يقول :
 يا خيبة الدهر ، فلا يقل أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله
 ونهاره » وروى الحاكم أيضاً يقول الله عز وجل « استقرضت عبيدي
 فلم يقرضني وشتمني عبيدي وهو لا يدري يقول وادعراه وأنا الدهر »
 وروى البيهقي « لا تسبوا الدهر . قال الله عز وجل : انا الأياء
 والليالي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك » . ومعنى ذلك أن
 الله تعالى هو الآتي بالحوادث فاذا سببتم الدهر على انه فاعل وقع
 النسب على الله عز وجل . « وما لهم بذلك من علم » أي ليس لهم
 بما ذكر من قصر الحياة على ما في الدنيا ونسبة الاهلاك الى الدهر
 غير مستند الى عقل أو نقل « ان هم الا يظنون » أي ما هم إلا قوم
 قصارى أمرهم انظن والتقليد من غير أن يكون لهم ما يصح أن
 يتمسك به في الجملة . وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يتعلق
 بالدهريين ، والمقصود أن من يقول باسناد الحوادث الى غير الله
 تعالى كالدهر فذلك ليس له مستند عقلي ولا نقلي ، بل هو محض
 جهل وقائه جاهل في أي عصر كان . ولأهل زماننا حظ وافر من

هذا الاعتقاد الباطل . والله المستعان

﴿ إضافة نعم الله الى غيره ﴾

﴿ السابعة والثلاثون ﴾ : إضافة نعم الله الى غيره . قال الله تعالى في سورة النحل « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » وقد عدد الله تعالى نعمه على عباده في هذه السورة الى أن قال « وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم سرائيل تقيمكم الخراب وسرايل تقيمكم بأسكم ، كذلك نعيم نعمته عليكم لعلكم تشكرون . فان تولوا فإنا عليك البلاغ المبين . يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » فقوله « يعرفون نعمة الله » الخ استئناف لبيان أن تولى المشركين وإعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم نعمة الله سبحانه وتعالى أصلا فأنهم يعرفونها أنهم من الله تعالى ثم ينكرونها بأنفسهم حيث « يفرّدوا نعيمها بالعبادة فكأنهم لم يعبدوه سبحانه وتعالى أصلا ، وذلك كفران منزل منزلة الانكار . وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد انه قال : انكارهم اياها قوهم : ورثناها من آبائنا . وأخرج هو وغيره أيضا عن عون ابن عبد الله انه قال : انكارهم اياها أن يقول الرجل : لولا فلان أصابني كذا وكذا ، ولولا فلان لم أصب كذا وكذا . وفي لفظ : انكارها اضافتها الى الاسباب . وبعضهم يقول : انكارهم قوهم هي إشفاة آلتهم عند الله تعالى . ومنهم من قال : النعمة هنا محمد

صلى الله عليه وسلم أي يعرفون انه عليه الصلاة والسلام نبي بالمعجزات ثم ينكرون ذلك ويحددونه عناداً « وأكثروا الكافرون » أي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر . والتعبير بالأكثر إما لان بعضهم لم يعرف الحق لتقصان عقله وعدم اهتدائه اليه ، أو لعدم نظره في الأدلة نظراً يؤدي الى المطلوب ، أو لانه لم تقم عليه الحجة لكونه لم يصل الى حد المكلفين لصغره ونحوه ، وإما لأنه يقام مقام الكل قاسماً المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى في سورة الواقعة « أفهمذا الحديث أنتم مدعون . وتعملون رزقكم أنكم تكذبون » أي تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . روى مسلم وغيره عن ابن عباس قال : مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر . قاوا : هذه رحمة وضعها الله . وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا فتزلت هذه الآية « فلا أقسم بمواقع النجوم » حتى بلغ « وتعملون رزقكم أنكم تكذبون » الى غير ذلك من الآثار . والمقصود أن اسناد النعم الى غير مُنعمها الحقيقي كفران لها . وقد ذكرنا مذهب العرب في الانواء في غير هذا الموضع وفصلنا تفصيلاً ، وذكرنا شعرهم الدال على مذهبهم هذا :
والله الموفق

﴿ الكفر بآيات الله ﴾

﴿ الثامنة الثلاثون ﴾ : الكفر بآيات الله . والنصوص الدالة على ذلك في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في الكهف « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً. ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا » بعد قوله سبحانه « هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. أولئك » الخ فقوله أولئك كلام مستأنف منه مسوق لتكميل تعريف الأخسرين وتبيين خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين. أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي والحسبان المذكور في الذين كفروا بآيات ربهم » بدلالته سبحانه الداعية إلى التوحيد الشاملة للسمعية والعقلية « ولقائه » هو كناية عن البعث والخسر وما يتبع ذلك من أمور الآخرة ، أي لم يؤمنوا بذلك على ما هو عليه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً » أي فتزدرى بهم ويحتقرهم

ومن النصوص ما يدل على أن منهم من كان ينكر بعض الآيات ، ومنهم من كان معرضاً عنهم وهاجراً لها . ولا يخفى عليك

أن من الناس اليوم من هو أدهى وأمر مما كان عليه أهل الجاهلية في هذا الباب

﴿ اختيار كتب الباطل ونبذ آيات الله ﴾

﴿ التاسعة والثلاثون ﴾ : اشترى كتب الباطل واختارها عليها ، أي على الآيات . قال تعالى « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ، ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان - إلى قوله - ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا أن اشتراءه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » ومعنى قوله « ولقد علموا لمن اشتراه » أي استبدل ما تلو الشياطين بكتاب الله « ماله في الآخرة من خلاق » أي نصيب « ولبئس ما شروا به أنفسهم » أي والله لبئس شيئاً شروا به حظوظ أنفسهم أي باعوها أو شروها في زعمهم ذلك الشراء ولو أنهم آمنوا أي بالرسول أو بما أنزل إليه من الآيات أو بالتوراة « واتقوا » أي المعاصي التي حكيت عنهم « لمثوبة من عند الله خير لو كانوا

يعلمون « أي أن ثواب الله تعالى خير لهم. وبمعنى هذه الآية قوله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم الايظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون » وهذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين خافوا أن تذهب ربايتهم بإتناء صفة النبي ﷺ على حالها فغيروها

﴿المدح في حكمة الله تعالى﴾

﴿الأربعون﴾ : المدح في حكمته تعالى . أقول : من خصال الجاهلية المدح في حكمته تعالى وأنه ليس بحكيم في خلقه بمعنى أنه سبحانه يخلق ما لا حكمة له فيه ، ويأمر وينهى بما لا حكمة فيه ، وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله في سورة ص « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من عذاب النار » وقال سبحانه في سورة المؤمنين « أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم ألينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق » وفي سورة الدخان « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » وفي سورة الأنبياء « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين » وفي

سورة الحجر « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق
وان الساعة لا آتية فاصفح الصفح الجميل » الى غير ذلك من الآيات
الناصية على أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من غير حكمة ولا علة على
خلاف ما يعتقدده أهل الباطل من الجاهليين ومن نحنا نهم من هذه
الأمة ممن نفى الحكمة عن أفعاله سبحانه وتعالى ، وهذه مسألة طويلة
الذيل قد كثر فيها الخصام بين فرق المسلمين ، والحق ما كان عليه
السلف من اثبات الحكمة والتعليل . وقد أظن الكلام عليها
الحافظ ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل ، وعتقد باباً مفصلاً في طرق اثبات حكمة الرب
تعالى في خلقه وأمره واثبات الغايات المطلوبة والعواقب الحميدة
التي فعل وأمر لأجلها . ومن جملة ما قل في هذا الباب : انه سبحانه
وتعالى أنكر على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا حكمة كقوله
« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » وقوله « أبحسب الإنسان أن يترك
سدى » وقوله « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما إلا بالحق » والحق هو الحكم والغايات المحمودة التي
لأجلها خلق ذلك كله ، وهو أنواع كثيرة : منها أن يعرف الله
باسمائه وصفاته وأفعاله وآياته . ومنها أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر
ويطاع . ومنها أن يأمر وينهى ويشرع الشرائع . ومنها أن يدبر
الأمر ويبرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات .

ومنها أن يثيب ويعاقب فيجازي للحسن باحسانه والمسيء باساءته
فيكون أثر عدله وفضله موجوداً مشاهداً فيحمد على ذلك ويشكر .
ومنها أن يعلم خلقه انه لا إله غيره ولا رب سواه . ومنها أن يصدق
الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيهينه . ومنها ظهور آثار أسمائه
وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي فيعلم
عباده ذلك علماً مطابقاً لما في الواقع . ومنها شهادة مخلوقاته كلها بأنه
وحده ربها وفاطرها ومليكما وأنه وحده آلهها ومعبودها . ومنها
ظهور أثر كماله المقدس فان الخلق والصنع لازم كماله فانه حي قدير
ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلاً مختاراً . ومنها أن يظهر أثر حكمته
في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به ومجيئه على
على الوجه الذي تشهد العقول والافطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة .
ومنها انه سبحانه يحب أن يجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح ولا يد
من لوازم ذلك خافاً وشرعاً . ومنها انه يحب أن يثنى عليه ويمدح
ويمجد ويسبح ويعظم . ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته
والآهية . الى غير ذلك من الحكم التي تضمنها الخلق . فخلق مخلوقاته
بسبب الحق ولأجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهو في نفسه حق
فصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أثنى على عباده
المؤمنين حيث نزهوه عن ايجاد الخلق لا شيء . ولا لغاية فقال
تعالى « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار

لآياتٍ لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض . وبنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه » وأخبر أن هذا ظن أعدائه لا ظن أو لياته فقال « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا » . وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول انه لم يخلق لحكمة . ظلوية له ولا أمر لحكمة ولا نهى لحكمة وإنما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا لغاية مقصودة وهل هذا الإنكار لحقيقة حمد بل الخلق والأمر إنما قام بالحكم والغايات فيما مظهران لحمده وحكمته فانكار الحكمة انكار حقيقة خلقه وأمره فان الذي أثبت المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب ويتعالى عن نسبتة اليه فانهم أثبتوا خلقاً وأمرأ لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة ، بل يجوز عندهم أو يقع أن يأمر بما لا مصلحة له لكاف فيه البتة وينهى عما فيه مصلحة والجميع بالنسبة اليه سواء ويجوز عندهم أن يأمر بكل ما نهى عنه وينهى عن جميع ما أمر به ولا فرق بين هذا وهذا إلا بمجرد الامر والنهي . ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه ظرقة عين ويشيب من عصاه بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفسجور فلا سبيل الى أن يعرف خلاف ذلك منه

الا يخبر الرسول والا فهو جائز عليه . وهذا من أقبح الظن وأسوئه
بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور بل هذا هو
عين الظلم الذي يتعالى الله عنه . والعجب العجاب ان كثيراً من
أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات
الكمال ونعوت الجلال ويزعمون ان اثباتها تجسيم وتشبيه ، ولا
ينزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون أنه عدل وحق ، وأن
التوحيد عندهم لا يتم الا به كما لا يتم الا بانكار استوائه على
عرشه وعلوه فوق سماواته وتكلمه وتكليمه وصفات كماله فلا
يتم التوحيد عند هذه الطائفة الا بهذا النفي وذلك الاثبات والله
وفي تنويره . انتهى المتصود من نقله وتمام الكلام في هذا
باب من ذلك الكتاب والتيه سبحانه المتأب

﴿ الكافر بالملائكة والرسول والتفريق بينهم ﴾

(الحادية والأربعون) : الكافر بالملائكة والرسول والتفريق
بينهم . قل تعالى لا ولقد آتينا موسى الكتاب وقيننا من بعده
بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
أفكفراً جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون وقالوا قلوبنا غلاف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما

يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من
 قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
 فلعنة الله على الكافرين بسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما
 أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده
 فبقاؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم
 آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه
 وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن
 كنتم مؤمنين - إلى أن قل - قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله
 على قلبك بأذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
 من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله
 عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليكم آيات بيّنات وما يكفر بها إلا
 الفاسقون » فقد تبين من هذه الآيات أن بعض الكتابيين كانوا
 يكفرون بالملائكة والرسل ويفرقون بينهم أي يؤمنون ببعض
 ويكفرون ببعض وهم طائفة من جاهلية اليهود ولهذا أمرنا الله
 تعالى بالإيمان بهم وعدم التفرقة بينهم فقال « آمن الرسول بما أنزل
 إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسله لا تفرق
 بين أحد من رسله ، وقلوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك
 المصير

﴿ التلوّ في الانبياء والرسول ﴾

(الثانية والأربعون) : التلوّ في الانبياء والرسول عليهم السلام . قال تعالى في سورة النساء « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكتبته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله واحد سبحانه أنى يكون له ولد » والتلوّ في المخلوق أعظم سبب لعبادة الاصنام والصلحاء كما كان في قوم نوح من عبادة نسر وسواع ويعوث ونحوهم وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام ومثل ذلك القول على الله بغير الحق

﴿ الجدال بغير علم ﴾

(الثالثة والأربعون) : الجدال بغير العلم كما ترى كثيراً من أهل الجليل يجادلون أهل العلم عند نهيبهم عما أفوه من البدع والضلالات . وهي صفة جاهلية نهانا الله تعالى عن التخلّق بها قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تحتاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيه لكم به علم فلم تحتاجون فيما ليس لكم به علم والله

يعلم وأنتم لا تعلمون» أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال : اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقالت الاحبار : ما كان ابراهيم الا يهودياً وقلت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانياً فانزل الله فيهم هذه الآية المتنادية على جباههم وعنادهم كما لا يخفى على من راجع التفسير

﴿ الكلام في الدين بلا علم ﴾

قال الشيخ (الرابعة والاربعون) : الكلام في الدين بلا علم . أقول أجمل الشيخ رحمه الله تعالى الكلام في هذه المسألة على الاجمال كما فعل مثل ذلك في كثير من المسائل وما أحقهم بالتفصيل وذلك أن أهل الجاهلية من العرب وغيرهم من الكتابيين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله أما العرب فقد كان الكثير منهم على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام أي أن ظهر فيهم الخزاعي^(١) فغير وبدل وابتدع بدعاً كثيرة وأغرى العرب على عبادة الأصنام وبجر البحيرة وحى الحام واستقسم بالأزلام الى غير ذلك بما فضلنا في غير هذا الموضوع وان شئت أن تعرف جبل العرب

(١) هو عمرو بن لحي وكان الحجار بون يتخذونه رباً في امثال امره وطاعته والانتها.

وما ابتدعوه فاقراً سورة الانعام فان فيها كثيراً من ضلالتهم
و مبتدعاتهم . وأما الجاهليون من اليهود والنصارى فقد اتخذوا
أخبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وذلك ان
احبارهم ورهبانهم ابتدعوا لهم في الدين بدعاً وحلوا وحرموا ما
اشتهته أنفسهم فقبلوا ذلك منهم وأطاعوهم عليه مع أن الدين انما
يكون بتشريع الله ووحيه الى أنبيائه ورساله عليهم السلام ولا
يكون بآراء الرجال وبحسب أهوائهم فكل ما لا دليل عليه من
كتاب ولا سنة مردود على صاحبه . وقد ذم الله تعالى اليهود على
مثل ذلك فقال عز اسمه في سورة آل عمران « وان منهم لفريقاً
يأبون السننهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون » فمن أول نصوص الكتاب
والسنة على حسب شهواته ويمقتضى هواد فهو أيضاً من قبيل
الذين يأبون السننهم بالكتاب وأنت تعلم ما اشتمل عليه اليوم
كثير من كتب الشريعة من الآراء التي ليس لها مستند من
دلائل الشريعة . فالى الله المشتكى من صوته الباطل وخمول الحق

﴿ الكفر باليوم الآخر ﴾

﴿ الخامسة والأربعون ﴾ : الكفر باليوم الآخر والتكذيب بلقاء الله وبعث الأرواح وبيع بعض ما ذكرته الرسل من صفات الجنة والنار قال تعالى في سورة الكهف « قل هل أنبئكم بالآخسرين أعمالا الذين خلل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه » الآية . وقد مر الكلام عليها قريبا . وقال تعالى في سورة النحل « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن كثر الناس لا يعلمون لتبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » الى غير ذلك من النصوص الواردة في ذلك كله . ولتقوم عصرنا من هذا الاعتقاد الجاهلي حظا وافرا ونصيب كامل ومن يضل الله فلا هادي له وينذرهم في طغيانهم يعمهون . نسأله تعالى التوفيق للهداية

﴿ التكذيب بآية مالك يوم الدين ﴾

﴿ السادسة والأربعون ﴾ : التكذيب بقوله تعالى « مالك يوم الدين » وهو اليوم الذي يدين الله تعالى العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم على الخيرات ويعاقبهم على المعاصي والسيئات والتكذيب

بهذا اليوم متفرع على انكار البعث والحساب والجنة والنار

﴿ التّكذيب بآية لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾

﴿ السابعة والأربعون ﴾ : التّكذيب بقوله تعالى « لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » من قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا افتقروا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون » . والخلة المودة والصداقة ومعنى ولا شفاعة أي لا أحد يشفع لأحد إلا من بعد ان يأذن الرحمن لمن يشاء ويرضى وأراد بذلك يوم القيامة والمراد من وصفه بما ذكر الإشارة الى أنه لا قدرة لأحد فيه على تحصيل ما ينتفع به بوجه من أوجوه لأن من في ذمته حق مثلاً إما ان يأخذ بالبيع ما يؤديه به وإما ان يعينه أصدقائه وإما ان يلتجئ الى من يشفع له في حظه والكل منتف . ولا مستعان إلا بالله عز وجل

﴿ الخطأ في فهم معنى الشفاعة ﴾

﴿ الثامنة والأربعون ﴾ : التّكذيب بقوله تعالى في سورة الزخرف « ولا يملك الذين تدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد باحق وهم يعلمون » . قوله ولا يملك الذين تدعون أي ولا يملك

آلهم الذين يدعونهم من درنه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله عز وجل إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون أي يعلمونه والمراد بهم الملائكة وعيسى وعزير واضرابهم وأنت ترى الناس اليوم عما كفينا على أصدانهم يدعونهم من دون الله وعذرهم عند توبيخهم أن هؤلاء شفعاؤهم . تعالى الله عما يشركون

﴿ قتل أولياء الله ﴾

﴿ التاسعة بر الأربعة ﴾ : قتل أولياء الله وقتل الذين يأمرون بالنفس من الناس قتل تعالى في سورة البقرة « وضربت عليهم ببنته والمنكحة وياؤا بغضب من الله بذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتنون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » وقل في سورة آل عمران « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلم فإقتلتموهم إن كنتم صادقين » إلى آيات أخر في هذا المعنى صرحت بما لا فاد لأ نبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم المخلصون ودعاة الحق (١) وبما كابدوا من أعداء الله والجهلة

(١) من ذلك أن الشيخ المصنف لاقى من أبناء زمانه كبيرهم وصغيرهم لما دعاهم إلى الله تعالى والتوحيد الذي جاءت به الرسل ما تهد له الصياصي وتشيب له النواصي كما لا يخفى على من طالع سيرته الفدسة تقدمه الله برحمته . ورضوانه

الغاغة مما تنهد له الصياصي وتبيض منه النواصي
هؤلاء أ كابر الأمة المحمدية وعلماءؤها الأعلام قد صادفوا
عند دعوتهم الى الحق والمحافظة عليه ما يسود منه وجه القرطاس
وتشيب منه لم المداد والأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم
المؤمنون وان كانوا يبتلون في أول الأمر فلعاقبة لهم كما قال تعالى
لما قص قصة نوح « تلك من أنباء الغيب توحيها اليك ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين »
وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم رسولا الى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان
المشركون حينئذ أشدء لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب
بينكم وبينهم قلوا : الحرب بيننا وبينه سجال يدان علينا المرة
وندال عليه الأخرى فقال كذلك الرسل تبلى وتكون لها العاقبة
فانه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنون ثم
لم ينصر الكفار بعدا حتى أظهر الله تعالى الاسلام . فان قيل
ففي الأنبياء من قد قتل كما أخبر الله تعالى في الآيات السابقة أن
بني اسرائيل يقتلون النبيين بغير الحق وفي أهل الفجور من
يؤتيه الله ملكا وسلطانا ويسلطه على المتدينين كما سلط بخت نصر

على بني اسرائيل وكما سلط كفار المشركين وأهل الكتاب
أحياناً على المسلمين . قيل أما من قتل من الأنبياء فهم من يقتل
من المؤمنين في الجهاد شهيداً قل تعالى « وكأين من نبي قتل معه
رَبِّيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا ان قلوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا وامسرفنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرتنا على
القوم الكافرين فأثابهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
والله يحب المحسنين » ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيداً في
القتال كان حاله أكل من حال من يموت حتف أنفه قل تعالى
« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند
ربهم يرزقون » ولهذا قال تعالى « قل هل تربصون بنا إلا إحدى
الحسينين » أي إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة ثم إن الدين
الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر فيكون لطائفته السعادة
في الدنيا والآخرة من قتل منهم كان شهيداً ومن عاش منهم كان
منصوراً سعيداً وهذا غاية ما يكون من النصر إذ كان الموت لا بد
منه فالموت على الوجه الذي يحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكل
بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا
في الدنيا ولا في الآخرة والشهداء من المؤمنين قتلوا باختيارهم

وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هذا الموت إما أنهم قصدوا الشهادة وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بانتصار طائفتهم وبقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء ، بخلاف من هلك من الكفار فاتهم هلكوا بغير اختيارهم دلا كما لا يرجون معه سعادة الآخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا بل اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المتبوحين وقيل فيهم «كم تركوا من جنات وعمير وزرع ومقام كريم وانعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين» وقد أخبر سبحانه أن كثيراً من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أي ألوف كثيرة وأنهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو وأن الله تعالى آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . فإذا كان هذا قتل المؤمنين فما الظن بقتل الأنبياء ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح . وظهور الكفار على المؤمنين أحياناً هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم أحد فإن تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع

الكفار وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها فإن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قاموا بعهوده ووصايا نصرهم الله وأظهرهم على المخالفين له فإذا ضيعوا عهوده ظهر أولئك عليهم فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوداً وعدمًا من غير سبب يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأن المدار علة ندائر وقولنا من غير وصف آخر يزيل النقوض الواردة فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله واخباره هو بسبب اتباع النبي وأنه سبحانه يريد اعلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه على من خالفه وإن يجعل لهم السعادة ومن خالفهم الشقاء وهذا يوجب العلم بنبوته وأن من اتبعه كان سعيداً ومن خالفه كان شقيماً . ومن هذا ظهور بخت نصر على بني اسرائيل فإنه من دلائل نبوة موسى إذ كان ظهور بخت نصر إنما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا إذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرها قل تعالى لا وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فلما جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم

أكثر نفيراً ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء
 وعد الآخرة ليسوفوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول
 مرة وليتبروا ما علو تبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا»
 فكان ظهور بني اسرائيل على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم
 تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وآياته . وكذلك
 ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة وظهور عدوهم
 عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأعلام
 نبوته وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد
 موته كما جرى لهم من يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى وكذلك
 انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته
 مع خلفائه من أعلام نبوته ودلائلها وهذا بخلاف الكفار الذين
 يقتصرون على أهل الكتاب أحياناً فان أولئك لا يقولون^(١) مطاعهم
 الى نبي ولا يقتلون أتباع الانبياء على دين ولا يطلبون من
 أولئك أن يتبعوهم على دينهم بل قد يصرحون باننا انما نصرنا
 حايكم بذنوبكم وان لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وأيضاً فلا عاقبة
 لهم بل الله يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعاً ولا قتيلهم
 يطلب بقتله سعادة بعد موت ولا يختارون القتل لیسعدوا بعد
 الموت . فهذا وأمثاله مما يظهر الفرق بين انتصار الانبياء وأتباعهم

(١) لعله لا يكون

وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين أو ظهور بعضهم على بعض وبين أن ظهور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته على أهل الكتاب اليهود والنصارى هو من جنس ظهورهم على المشركين عباد الأوثان وذلك من اعلام نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بني اسرائيل وظهور الكفار على المسلمين . وهذه الآية مما أخبر به موسى وبين أن الكذاب المدعى للنبوة لا يتم أمره وإنما يتم أمر الصادق فإن من أهل الكتاب من يقول محمد وأمته ساطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه كما سلب بخت نصر وغيره من الملوك وهذا قياس فاسد فإن بخت نصر لم يدع نبوة ولا قاتل على دين ولا طلب من بني اسرائيل ان ينتقلوا عن شريعة موسى الى شريعته فلم يكن في ظهوره اتمام لما ادعاه من النبوة ودعا اليه من الدين بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق اذا ظهروا على القوافل بخلاف من ادعى نبوة وديننا دعا اليه ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة ثم نصره الله وأظهره وأتم دينه وأعلى كلمته وجعل له العاقبة وأذل مخالفيه فان هذا من جنس خرق العادات المقترون بدعوى النبوة فانه دليل عليها وذلك من جنس خرق العادات المقترون بدعوى النبوة فانه ليس دليلا عليها

وقد يغرق في البحر أمم كثيرة فلا يكون ذلك دليلاً على نبوة نبي بخلاف غرق فرعون وقومه فإنه كان آية بينة لموسى وهذا موافق لما أخبر به موسى عليه الصلاة والسلام من أن الكذاب لا يتم أمره وذلك بأن الله حكيم لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير أن يبين كذبه . ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الألوهية بعض الخوارق كان معها ما يدل على كذبه من وجوه . منها دعواه الألوهية وهو أعور والله ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت . وقد ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة فإن تأييد الكذاب ونصره و تظهير دعوته دائماً فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع على ذلك أيضاً بالحكمة فحكيمته تناقض أن يفعل ذلك إذ الحكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » فأخبر أن سنة الله التي لا تبديل لها نصر المؤمنين على الكافرين والإيمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله . فإذا نقص الإيمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه

كما جرى يوم أحد . وقال تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءكم نذير ليكونن أحدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين ولا يوجد لسنة الله تبديل لا تبديل بغيرها ولا تتحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم وكذلك قل في المناقنين وهم الكفار في الباطن دون الظاهر من فيه شعبة نفاق « لئن لم ينته اندمقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » والسنة هي العادة فهذه عادة الله المعلومة فإذا نصر من ادعى النبوة واتبعه على من خالفه إما ظاهراً وإما باطناً نصراً مستقراً فان ذلك دليل على أنه نبي صادق اذ كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمناقنين كما أن سنته تبيدهم بلايات البينات وهذه منها ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكثر الكفار وأظلم الظالمين قل تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباتاً أو قل

أوحى اليّ ولم يوح اليه شيء ومن قال ما أنزل مثل ما أنزل الله «
وقال تعالى « فمن أظلم من كذب على الله وكذب بالصدق اذ
جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم من اقترى على الله كذبا أو كذب
بالحق لما جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم من اقترى على الله كذبا
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » ومن كان
كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي
هريرة قال ان الله يملئ لظالم فاذا أخذه لم يفلته ثم قرأ « وكذلك
أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه ألم شديد » وقال
أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله
ﷺ من يؤمن كذب الخباءة من الزرع تفيها الرياح تقيمها تارة
وتحيلها أخرى ومثل المتناقض كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على
أصلها حتى يكون النجعاف مرة واحدة . فالكاذب الناجر وان
عظمت دولته فلا بد من زواله بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء
في لسانه وهو يظهر سريعاً ويذول سريعاً كدولة الأسود
العنسي ومسيمة الكذاب والحارث السمشقي وبابا الرومي ونحوهم .
وأما الأنبياء فانهم يتمون كثيرا ثم حصوا بالبلاء فان الله تعالى
انما يمكن العبد ذم البلاء ويظهر أمره شيئا فشيئا كالزرع قال

تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيئاتهم في وجوههم من أثر السجود ذلك منهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه (أي فراخه) فأزده (أي قواء) فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ». ولهذا كان أول من اتبعهم ضعفاء الناس باعتبار هذه الأمور وسنة الله في أنبياءه الله وأوليائه الصادقين وفي أعدائه الله والمنتسبين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل منتسبي الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع كقوله تعالى « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لسكات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين » وقل تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب » وقل تعالى « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير

للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون « والمتصود أن ايذاء القائمين بالحق والناصرين له من سنن أهل الجاهلية، وكثير من أهل عصرنا دلى ذلك والله المستعان

﴿ الايمان بالجبت والطاغوت ﴾

(الخشون) : الايمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على مسلمين قد تعاقب في سورة النساء « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » هذه الآية نزلت في حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من يهود وذاك أنهم خرجوا الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مشواره ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة أنهم

أهل كتاب ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب كتاب فلا
يؤمن هذا ان يكون مكرراً منكم فان أردت ان نخرج معك فاسجد
لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قال كعب يا أهل مكة ليحيى
منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزم أ كبادنا بالكعبة فنعاهد رب
البيت لنجهدين على قتال محمد فنعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو
سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم
فاينما أهدي طريقاً وأقرب الى الحق ، نحن أم محمد ؟ قال كعب
اعرضوا على دينكم فقال أبو سفيان نحن فنحرج للحجيج الكوماء
ونستقيم البين ونقري الضيف ونمك العاني ونصل الرحم ونعمر
بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آباءه
وقطع الرحم وديننا القديم ودين محمد الحديث . فقال كعب أنتم
والله أهدي سبيلاً مما عليه محمد فأنزل الله في ذلك الآية واجبت
في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل معبود غير الله والظنوت
يطلق على كل باطل من معبود أو غيره . ومعنى الايمان بهما إما
التصديق بأنها آلهة واشرا كهما بالعبادة مع الله تعالى . وإما
طاعتها وهو وافقتهما على ما هما عليه من الباطل . وأما التبرر المشترك
بين المعنيين كالتعظيم مثلاً والتباعد المعنى الاول أي انهم يصدقون
بالوحيه هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الآله الحق

ويسجدون لها .

﴿ لبس الحق بالباطل ﴾

﴿ الحادية والخسون ﴾ : لبس الحق بالباطل وكتمانه قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » . وفي المراد أقوال : أحدها ان المراد تحريفهم التوراة والانجيل . ثانيها ان المراد اظهارهم الاسلام وأبطنهم النفاق . ثالثها ان المراد الايمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد عليهم السلام . رابعها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من حقيقة رسالته ﷺ وما يظهرونه من تكذيبه

﴿ الاقرار بالحق للتوصل الى دفعه ﴾

﴿ الثانية والخسون ﴾ : التعصب للمذهب والاقرار بالحق للتوصل الى دفعه . قال تعالى في سورة آل عمران « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا ووجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا من تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يفتي أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيده الله يقرئيه من يشاء والله واسع عليم

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم « قال الحسن
والسعدى : تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر وقرى
عربين وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان
دون الاعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان
دينه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم وقالوا انهم أهل كتاب
وهم أعلم به فيرجعون عن دينهم الى دينكم

﴿ اتخذ النبيين أرباباً ﴾

﴿ الثالثة والخمسون ﴾ : تسميتهم اتباع الاسلام شركاء قال
تعالى « ما كان لبشر ان يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم
يقول يا انسان كونوا عباداً لى من دون الله ولو كن كافرين
بما كنتم تعلمون الكتاب وبعد كنتم تدرسون . ولا يأمرکم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمرکم بالكفر بعد إذ أنتم
مسلمون » أخرج ابن اسحاق بسنده حين اجتمعت الاحبار من
اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد يا محمد ان نعبدك كما تعبد
النصرى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني

يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : معاذ الله ان يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني . فأنزل الله تعالى الآية

﴿ تحريف الكلام عن مواضعه ﴾

﴿ الرابعة والخمسون ﴾ : تحريف الكلام عن مواضعه ولي الألسنة بالكتاب . قل تعالى في سورة آل عمران « وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » روى أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وأخفوا بكتاب الله تعالى ما ليس منه . واختلف الناس في أن اخرف هل كان يكتب في التوراة أم لا ؟ فذهب جمع الى أنه ليس في التوراة سوى كلام الله تعالى وان تحريف اليهود لم يكن إلا تغييراً وقت القراءة وتأويل لا بطلا للنصوص . وأما أنهم يكتبون ما يروونه في التوراة على تعدد نسخها فلا . واحتجوا لذلك بما روى أن التوراة والإنجيل كما أنزلها الله تعالى لم يغير منها حرف ولكنهم يضاهون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند

أنفسهم ويقولون ان ذلك من عند الله وما هو من عند الله . فأما كتب الله تعالى فانها محفوظة لا تحول وبأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول لليهود الزاماً لهم أتوا بالتوراة فأتوها ان كنتم صادقين وهم يمتنعون عن ذلك فلو كانت مغيرة الى ما يوافق مرادهم ما امتنعوا بل وما كان يقول لهم ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يعود على مطلبه الشريف بالابطال . وذهب آخرون الى أنهم بدلوا وكتبوا ذلك في نفس كتابهم واحتجوا على ذلك بكثير من الظواهر ولا يمنع من ذلك تعدد النسخ لاحتمال التواطؤ أو فعل ذلك في البعض دون البعض وكذا لا يمنع منه قول الرسول لهم ذلك لاحتمال عناه ببقاء بعض ما يفي بفرضه سابقاً عن التغيير . إما جهلهم بوجه دلالة أو لصرف الله تعالى إليهم عن تغييره وتتم الكلام في تفسير الجدل عند الكلام على هذه الآية وكذا في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام . وكثير من الأمة الحمدية سلكوا مسلك الكتابيين في التحريف والتأويل واتباع شهواتهم وقل تعالى في سورة النساء « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع وراعتنا لياً بالسفتيم وطعناً في الدين ونو أنهم قولوا سمعنا وأطعنا وسمعوا وانظرونا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله

بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً» والكلام على هذه الآية أيضاً
مستوفى في التفسير

﴿ تَلْقِيبُ أَهْلِ الْهُدَى بِأَنْقَابِ غُرَيْبَةٍ ﴾

(الخامسة والخمسون) : تلقيب أهل الهدى بالصابئة والحشوية
فقد كان أهل الجاهلية يلتبسون من خرج عن دينهم بالصابيء كما
كانوا يسمون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك كما ورد
في عدة أحاديث من صحيح البخاري ومسلم وغيرها تنفيراً للناس
عن اتباع غير سبيلهم وهكذا تجد كثيراً من هذه الأمة يطلقون
على من خلفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء مكروهة للناس . والصابئة
أمة قديمة على مذاهب مختلفة قد تكلم عليها أهل المقالات بما
لا مزيد عليه . وأما الحشوية فهم قوم كانوا يقولون بجواز ورود
مالا معنى له في الكتاب والسنة كالخروف في أوائل السور
كانوا قل بعضهم وهم الذين قل فيهم الحسن البصري لما وجد
قومهم سائط وكانوا يجلسون في حلقاته أمامه ردوا هؤلاء إلى
حشا الخلة أي جانبها . وخصوص السلفيين يرمونهم بهذا الاسم
تنفيراً للناس عن اتباعهم والأخذ بأقوالهم حيث يقولون في
التشابه لا يعلم توبيه إلا الله وقد أخطأت أمتهم الحفرة فالسلاف

لا يقولون بورود ما لا معنى له لافي الكتاب ولا في السنة بل يقولون في الاستواء مثلاً: الاستواء غير محمول والكيف غير معتول والاقرار به ايمان والجحود به كفر وقد أطل الكلام في هذه المسئلة شيخ الاسلام ابن تيمية في كثير من كتبه وخلص ذلك في كتابه جواب أهل الايمان في التفاضل بين آيات القرآن . ومن الناس من فرق بين مذهب السلف ومذهب الخشوية، أن مذهب الخشوية ورود ما يتعذر التوصل الى معناه المراد مطلقاً فالاستواء مثلاً عندهم له معنى يتوصل اليه بمجرد سماعه كل من يعرف موضوعات اللغوية إلا أنه غير مراد لأنه خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل ومعنى آخر يليق به تعانق لا يعمله إلا هو عز وجل وكيف يكون مذهب السلف هو مذهب الخشوية وقد رأى الحسن البصري الذي هو من أكابر السلف سقوط قول الخشوية ولم يرض ان يقعد قائله تجاهه . والمتصود أن أهل الباطل من المبتدعة رهوا أهل السنة والحديث بمثل هذا القبح الخبيث . قال أبو محمد عبد الله بن قتيبة في تأويل مختلف الأحاديث ان أصحاب البدع سمو أهل الحديث بالخشوية والناطقة والمتجبرة والجبرية وعمومهم الغشاء وهذه كلها انباز لم يأت بها خبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أتى في التدرية أنهم محجوس هذه الامة فان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا

فلا تشهدوا جنازتهم . وفي الرافضة يكون قوم في آخر الزمان
يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ويلفظونه فاقتلواهم فانهم
مشركون . وفي المرجئة صنفان من امتي لا تنالهم شفاعتي لعنوا على
لسان سبعين نبياً المرجئة والتدرية . وفي الخوارج يمزقون من
الدين كما يمزق السهم من الرمية وكلاب أهل النار . هذه أسماء
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلك أسماء مصنوعة
انتهى . وفي الغنية أن الباطنية تسمى أهل الحديث خشوية لقولهم
بالاخبار وتعلقهم بالآثار انتهى . وفي كتاب حجة الله البالغة
واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسموهم بحسمة
ومشبهة وقلوا هم المتسترون بالبلكفة (١) وقد وضع لدي وضوحاً
بيننا أن استصانهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في روايتهم
رواية ودراية وخصون في طعنهم أئمة الهدى انتهى . وقد قال
العلامة ابن القيم في كافيته الشافية : فصل في تنقيبهم أهل السنة
بالخشوية ويقال من أولى بالوصف المدموم من هذا اللقب من
الطائفتين وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدع :

ومن العجائب قولهم من اقتدى	بالوحي من أثر ومن قرآن
خشوية يعنون خشواً في الوجود	وفضلة في أمة الانسان
ويظن جهلهم بنهم خشوا	رب العباد بداخل الاكوان

(١) من كلمة (بلا كيب)

إذ قولهم فوق العباد وفي السما
 ظن الحير بأن «في» للظرف والا
 والله لم يسمع بهذا من فرقة
 لا تبهتوا أهل الحديث به فإ
 بل قولهم إن السموات العلى
 حقاً كخردلة ترى في كف
 أترونه المحصور بعد أم السما
 كمذا مشبهة وذا خشوية
 تدرون من سمعت شيخكم بهذا
 حتى به عمرو لعبد الله ذ
 فورثتم عمرو كما ورثوا لعبد
 تدرون من أولى بهذا الاسم
 من قد حشى الأوراق والأذهان من
 هذا هو الخشوى لأهل الحديث
 وردوا عذاب منهن السنن التي
 ووردتم التلغوظ بجرى كل ذي
 وكسبتن تصعدوا لوورد من
 وحصل هذه الآبيات أن أعداء الحق وخصوم السنة وأضدادها

الرب ذو الملكوت والسلطان
 رحمن محويٌّ بظرف مكان
 قالته في زمن من الأزمان
 ذا قولهم تباً لذي البهتان
 في كف خالق هذه الأكوان
 سكما تعالى الله ذو السلطان
 ياقومنا ارتدعوا عن العدوان
 صرف بلا جحد ولا كتمان
 الاسم في الخشي من الأزمان
 ك ابن خليفة حذره الشيطان
 الله أنى يستوى الأوثان
 وهو مناسب أحواله بوزان
 بدع تخالف مقتضى القرآن
 أئمة الإسلام والامان
 ليست ربة هذه الأذهان
 أوساخ والأقذار والأنتان
 أثر الشرايع خيبة الكسلان
 أعداء الحق وخصوم السنة وأضدادها

الكتاب والسنة يلقبون سلف الامة المتمسكين بالكتاب والسنة بلقب الحشوية، فالخواص منهم يقصدون بهذا الاسم أن المسمى به حشو في الوجود وفضلة في الناس لا يعاب بهم ولا يقام لهم وزن إذ لم يتبعوا آراءهم الكاسدة وأفكارهم الفاسدة وأما العوام منهم فيظنون أن تسمية السلف بالحشوية لتوهم بالفوقية وكون الاله في السماء بمعنى أنهم اعتقدوا وحاشاهم ان الله تعالى حشو هذا الوجود وأنه داخل الكون تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهذا بهتان عظيم على أهل الحديث على أن هذا القول لم يقبل به أحد . وأعداء الحق في عصرنا هذا على هذا المسلك الجاهلي فتراهم يرمون كل من تمسك بالكتاب والسنة بكل لقب مذموم بين المسلمين واث الاستعانة على ما تصفون

﴿ التكاليف بالحق ﴾

﴿ السادسة والخمسون ﴾ : افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق ، وشواهد هذه المسئلة من الكتاب والسنة كثير وهذا دأب مخالفين الدين المبين كاليهود والنصارى ، يدعون أن منهم عليه هو الحق وأن الله أمرهم بالتمسك به وأن الدين المبين ليس بحق وأن الله تعالى أمرنا بتكذيبه كل ذلك لا تتبع أسلافهم لا ينظرون الى التليل وهكذا أهل البدع والضلالات يعتقدون بدعهم الحق

وأن الله أمرهم وأن ما عليه أهل الحق مقترى لا يصدقون به
وكل يدعي وصلاليليلى وليلى لا تقرُّ لهم بذا كما

﴿ الاقتراء على المؤمنين ﴾

﴿ السابعة والخمسون ﴾ : رعى المؤمنين بطلب العلو في الارض
قال تعالى في سورة يونس « قلوبنا أجمتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه
آباءنا وتكون لنا الكبرياء في الأرض وما نحن لك بمؤمنين »
هذا الكلام مسوق لبيان أن موسى عليه السلام أتتهم حجر
فانقطعوا عن الايمان بكلامه لعلق بكلامه عليه السلام فضلا
عن اجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي
هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معالج لجوج ، على أنه
استندف وقع جواباً عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة
قال موسى ، كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام حين قال لهم
ما قل ؟ فتيل قول عجزين عن الحاجة « أجمتنا لتلفتنا عما وجدنا
عليه آباءنا وتكون لنا الكبرياء في الأرض » أي تلك كما روى
عن غيره وعن الزوجج أنه أتت حتى تلك كبرياء لأنه أكبر
من يطلب من أمر الدنيا ، فكأن من دعا الى الحق زمام من كان على
مسئلت الجاهلي أن قصده من الدعوة طلب الرياسة وانجاده من غير

ان ينظروا الى مادعا اليه وما قام عليه من البراهين
﴿ رمي المؤمنين بالفساد في الارض ﴾

﴿ الثامنة والخمسون ﴾ : رمي المؤمنين بالفساد في الارض . شاهد
هذه المسألة آيات كثيرة ، حاصلها أن المخالفين لهم من المؤمنين
مفسدون في الارض . انظر الى قولهم في أوائل سورة البقرة
كيف ادعوا أنهم هم مصلحون . وقد ردا الله عليهم بقوله « ألا
أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » وهكذا من هو على
شاكاة أولئك من الذين استحلوا خبيهم وتمكنت بدعهم
من قلوبهم :

ومن يك ذا فمٍ مرّ مريض يجدُ مرّاً به الماء الزلالا
نساءً تعالى ان يثبت قلوبنا على دينه القويم وأقدامنا على
الصراط المستقيم

﴿ رمي المؤمنين بتبديل الدين ﴾

﴿ التاسعة والخمسون ﴾ : رمي المؤمنين بتبديل الدين . قال
تعالى في سورة مؤمن « أي أخف أن يبدل دينكم وان يظهر في
الارض الفساد » اعتقدوا ما هم عليه من الضلال هو الدين الحق
ومن أراد تحويلهم عن اعتقادهم الكاسد وصرفهم عما هم عليه

من الغي | فقد اراد | اخراجهم من الدين وافساداً في الأرض .
وهكذا ديدن أعداء الحق في كل عصر .

﴿ اتهام أهل الحق بالفساد في الارض ﴾

﴿ الستون ﴾ : كونهم إذا غلبوا بالخجة فزعوا الى السيف
والشكوى الى الملوك و | دعوى | احتقار السلطان و [تحويل]
الرعية عن دينه . قال تعالى في سورة الاعراف « أتدبر موسى وقومه
ليفسدوا في الأرض » فانظر الى شكوى آل فرعون وقومه اليه
وتحريضهم إياه على مقاتلة موسى عليه السلام وتوبيخه . وما ذكر
في آخر الآية من احتقار ما كانوا عليه

﴿ تناقض مذهبهم لما تركوا الحق ﴾

﴿ الخادية والستون ﴾ : تناقض مذهبهم لما تركوا الحق قال
تعالى في سورة ق « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا
كتاب حفيظ بل كذبوا باحق لما جاءهم فهم في أمر مريج » فقوله
بل كذبوا باحق الخ اضراب اتبع الاضراب الأول للدلالة على
أنهم جاءوا بما هو أقسط من تعصبهم وهو التكذيب باحق الذي
هو النبوة الثابتة بالعجزات في أول وعلة من غير تفكير ولا تدبر
فهم في أمر مريج مضطرب وذلك بسبب نفهم النبوة عن البشر

بالكلية تارة وزعمهم أن اللائق بها أهل الجاد والمال كما ينبيء عنهم قولهم « لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » تارة أخرى ، وزعمهم أن النبوة سحر أول مرة وأنها كهانة أخرى حيث قالوا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة ساحر ومرة كاهن ، أو هو اختلاف حلهم ما بين تعجب من البعث واستبعاد له وتكذيب وتردد فيه أو قولهم في القرآن هو شعر تارة وهو سحر أخرى وقال تعالى في سورة الذاريات « ونساء ذات الحيات أنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك قتل الخراصون الذين هم في غورة ساهون » الحُبك جمع حبيكة كطريقة أو حبال كمثل ومثل والمراد بها هنا الطرق الخمسة التي تسير فيها الكواكب أو المعقوفة التي تصدرت بالبصيرة وهي ما يدل على وحدة الصانع وقدرته وعلمه وحكمته إذا تأملها الناظر بقوله « أنكم لفي قول مختلف » أي متخالف متناقض في أمر الله عز وجل حيث تقولون أنه جل شأنه خلق السموات والأرض وتقولون بصحة عبادة الأصنام معه سبحانه وفي أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتقولون تارة أنه يحنون وأخرى أنه ساحر ولا يكون الساحر إلا ما قالوا في أمر الحشر فتقولون تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلاً وتزعمون أخرى أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله تعالى يوم

القيامة الى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كلفوا بالايان به
وقوله « يؤفك عنه » من افك أي يصرف عن الايمان بما كلفوا
الايان به « قتل الخراصون » أي الكذابون من أصحاب القول
المختلف « الذين هم في غمرة ساهون » الغمرة الجهل العظيم يغمرهم
ويشملهم تحول الماء الغامر لما فيه والسهو الغفلة وقال تعالى في أوخر
سورة الانعام « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في
شيء فما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » هذه الآية
استغنى لبيان أحوال أهل الكتابين امر بيان حال مشركين
بناء على ما روى عن ابن عباس وقتادة أن الآية نزلت في اليهود
والنصارى أي بسدوا دينهم وبعضود فتمسك بكل بعض منه فرقة
منهم وكثرت شيعا أي فرقا تشيع كل فرقة اماما وتبعه أي تنويه
وتظهر أمره . أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « افرقت اليهود على إحدى
وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة ، وافرقت النصارى على
ثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة ، وستتفرق أمي على
ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة » واستثناء الواحدة
من فرق كل من أهل الكتابين إنما هو بالنظر الى العصر الماضي
قبل النسخ وأما بعده فالكل في الهاوية ان واختلفت أسباب

دخولهم . « لست منهم في شيء » أي من السؤال عنهم والبحث عن تفرقهم أو من عقابهم أو أنت بريء منهم . « إنما أمرهم إلى الله . تعليل للنفي المذكور أي هو يتولى وحده أمرهم وأولاهم وأخراهم ويديره حسب مقتضيه الحكمة . ومن الناس من قال المفرقون أهل البدع من هذي الأمة . فقد أخرج الحكيم الترمذي وابن جرير والطبراني وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله سبحانه « ان الذين فرقوا » الخ هم أهل البدع والاهواء من هذه الامة فيكون الكلام حينئذ استئنافاً لبيان حال مبتدعين اثر بيان حال المشركين ، اشارة الى أنهم ليسوا منهم ببعيد والمقصود أن أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أو كتابيين قد فرقوا دينهم وتغيروا في الاعتقاد فكان عباد الاصنام كل قوم لهم صنم يدينون له ولهم شرائع مختلفة في عبادتها . ومنهم من كان يعبد كوكبا ومنهم من كان يعبد الشمس ومنهم ومنهم . وكذلك الكتابيون على ما بيننا . فالافتراق ناشى عن الجهل وإلا فالشريعة ائتمت في كل زمان لا تعدد فيها ولا اختلاف ، ولذلك ترى القرآن يوحد الحق ويعدد الباطل قل تعالى « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » فانظر كيف أفرد النور الذي

هو الحق وجمع الظلمات التي هي الباطل والزيف ، فتفرقة الآراء
والاختلاف في الاعتقاد من خصال الجاهلية وما كان عليه أهل
الباطل ، والاتفاق على العقيدة الحقّة هو من دأب أتباع الرسل
والمتمسكين بما شرعه الله تعالى

﴿ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ﴾

﴿ الثانية والستون ﴾ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم كما قال
تعالى في سورة البقرة « وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قُلُوا
نُؤْمِنُ بِهِ إِنزِلْ عَلَيْنَا مِثْلَ الْكُتُوبِ » وما وراءه وهو الحق مصدقاً
لهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ، أي
لستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل لتقرير حكمها ،
ومرادهم بضمير أنتمكم إما أنبياء بني إسرائيل وهو الظاهر ،
وفيه إيحاء الى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله
على من ليس منهم ، وإما أنفسهم ومعنى الأنزال عليهم تكليفهم
بما في المنزل من الأحكام ، وفندهوا على هذه المقالة لما فيها من
التعريض بشأن القرآن ، ودسائس اليهود مشهورة وتعمد الكلام
في التفسير

﴿ الزيادة في العبادة ﴾

﴿ الثالثة والستون ﴾ : الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم

عاشوراء

﴿ النقص من العبادة ﴾

﴿ الرابعة والستون ﴾ : النقص منها ، كتركهم الوقوف . قال

تعالى « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » أي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب عام والمقصود إبطال ما كان عليه الحمس من الوقوف بجمع فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها ، فذلك قوله سبحانه « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ومعناها : ثم أفيضوا أيها الحجاج من مكان أفاض جنس الناس منه قديماً وحديثاً وهو عرفة لا من مزدلفة

﴿تعبدتم بترك الطيبات من أرزق﴾

﴿الخامسة والستون﴾ : تعبدتم بترك أكل الطيبات من الرزق وترك زينة الله التي أخرج لعباده . قال تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكولوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة ، كذلك نخص الآيات لقوم يعقلون ، وسبب النزول عن ما روي عن ابن عباس انه كان اقام من الاعراب يطوفون بالبيت عرة حتى ان كانت سرافا لتصرف بالبيت وهي عريانة فتعشق على ساقها سيور مثل هذه لسير حتى تكون على وجه الحمر من الثياب وهي تقول :
 يوم ييسر بعضه أو كره
 ويبدأ منه فلا أحد

فأنزل الله تعالى هذه الآية « يا بني آدم » اكلوا واشربوا مما طاب لكم ، قل الكافي كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتاً ولا يأكلون دسماً في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك . فأنزل الله تعالى الآية ومنه يظهر وجه ذكر الاكل والشرب هنا ولا تسرفوا

بتحريم الحلال كما هو المناسب بسبب النزول أو بالتعدي الى الحرام « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به « والطيبات من الرزق » أي من المستلذات وقيل المحللات من المأكل والمشرب كلحم الشاة وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم بالأصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى والكفرة ان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم

﴿ تعبدكم بالمكء والتصدية ﴾

﴿ السادسة والستون ﴾ تعبدكم بالمكء والتصدية . قال تعالى في سورة الانفس « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » تفسير هذه الآية « وما كان صلاتهم عند البيت . أي المسجد الحرام الذي صدوا المسلمين عنه والتعبير عنه بالبيت للاختصار مع الاشارة الى أنه بيت الله تعالى فينبغي أن يعظم بالعبادة وهم لم يفعلوا الا مكاء أي صغيراً وتصدية أي تصديقاً وهو ضرب من اليد باليد بحيث يسمع منه صوت . والمراد بالصلاة . النداء أو الفعل أخر كانوا يفعلونها ويسمونها صلاة

وحمل المكاء والتصديّة عليها بتأويل ذلك بأنّها لا فائدة فيها ولا معنى لها كصفير الطيور وتصفيق اللّعب . وقد يقال المراد أنّهم وضعوا المكاء والتصديّة موضع الصلاة التي تليق أن تقع عند البيت . يروى أنّهم كانوا إذا أراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يصلي يخلطون عليه بالصفير والتصفيق . ويروى أنّهم يصلون أيضاً ويروى أنّهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفتون . وباقي الآية معلوم . والمتصوّر أن مثل هذه الأفعال لا تكون عبادة بل من شعائر الجاهلية . فما يقع اليوم بعض جهالة التسمين في المساجد من المكاء والتصديّة يزعمون أنّهم يذكرون الله فهو من قبيل فعل الجاهلية . وما أحسن ما يقول القائل فيهم :

أقال الله صفق لي وغنّ وقل كفراً وسم الكفر ذكراً

وقد جعل الشارع صوت الملامحي صوت الشيطان ، قال تعالى
 « واستغزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك
 ورجلك ، وشاركتهم في الأموال والأولاد ، وعددهم وما يعدهم
 الشيطان الا غرورا »

﴿ النفاق في العقيدة ﴾

﴿ السابعة والستون ﴾ : دعواهم الايمان عند المؤمنين ، فاذا خرجوا خرجوا بالكفر الذي دخلوا به

﴿ دعاؤهم الى الضلال بغير علم ﴾

﴿ الثامنة والستون ﴾ : دعاؤهم الناس الى الضلال بغير علم

﴿ دعاؤهم الى الكفر مع العلم ﴾

﴿ التسعة والستون ﴾ : دعاؤهم الناس الى الكفر مع العلم

﴿ المنكر الكبار ﴾

﴿ السبعون ﴾ المنكر الكبار . كفعل قوم نوح قال تعالى في سورة نوح عليه السلام « ومكروا مكراً كباراً وقالوا لا تدرن كفتك ولا تدرن وداً ولا سواعاً ولا يعوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً » ومعنى الكبار الكبير والمكر الكبار احتيالم في الدين وصدء الناس عنه واغرائهم وتحريضهم على اذية نوح عليه السلام . وعكذ فعل اختلف هؤلاء من هردة الدين وتباع

فانه روي أنه من صفاته فيها أنه أبيض ربعة فغيره باسحر طويل
 وغيره آية الرجم بالتسخيم وتسويد الوجه كما في البخاري . ومنهم
 فريق أميون لا يعلمون الكتاب الا بالدعوى الكاذبة والمراد
 بهم جهلة مقلدة لا ادراك لهم . وتعام الكلام في هذا المقام يطلب
 من التفسير والمقصود أن تحريف الكلم واتباع الهوى والقول على
 الله من غير علم من خصال الجاهلية وانت تعلم حال أحبار السوء
 اليوم والرهبان الذين يتولون على الله مالا يعلم قد تجاوزوا الحد
 في اتباع الهوى وتأويل النصوص وما اشبه ذلك مما يستحي منه
 الاسلام والامر لله

﴿ زعمهم بهم هم أولياء الله ﴾

﴿ الثانية والسبعون ﴾ : زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس
 دليل هذه المسئلة قوله تعالى في سورة الجمعة « قل يا أيها الذين
 حادوا » أي تهودوا أي صدروا يهوداً « ان زعمتم أنكم أولياء الله »
 أي أحبائه سبحانه ، ولم يضاف أولياء اليه تعالى كما في قوله سبحانه
 « الا أن ولياء الله ليؤذن بالفرق بين مدعى الولاية ومن يخصه بها
 فمن دون الناس . أي متجاوزين عن الناس « فتمنوا الموت » أي فتمنوا
 من الله تعالى ان يميتكم وينتقم من دار البلية الى محل الكرامة

« ان كنتم صادقين » في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن انه من أهل الجنة أحب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الانكار والا كدار . وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقول لهم ذلك اظهاراً لكذبهم فانهم كانوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون ان الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، كما أخبر تعالى عن الكتابيين في كتابه فقال جل شأنه « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وروى انه لما ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتبت يهود المدينة لليهود خبير : ان اتبعتم محمداً أطعناه وان خالفتموه خالفناه . فقاتلوا نحن أبناء خليل الرحمن ومن عزيز ابن الله والأنبيا ومتى كانت النبوة في العرب نحن أحق بها من محمد ولا سبيل الى اتباعه . فنزلت « قل يا أيها الذين هادوا » الآية « ولا يتمنوه أبداً » اخبار بحالهم المستقبل وهو عدم تمنهم الموت وذلك خاص بأولئك الخطابين وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم والاني نفسي بيده لا يقوفاً أحد منكم إلا خص بريقتي في تمنه أحد منهم وما ذلك إلا لانهم كانوا موقنين

يصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فاعلموا أنهم لو تمنوا لما اتوا من
ساعتهم ولحقهم الوعيد. وهذه إحدى المعجزات « بما قدمت أيديهم »
أي بسببه كأنه قيل انتفى تمنيتهم بسبب ما قدمت والمراد بما قدمته
أيديهم الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من
بين جوارح الانسان مناط عامة أفعاله عبر بها تارة عن النفس
وأخرى عن القدرة « والله عليهم بالظالمين » أي بهم وإيثار الاظهار
على الاضرار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون
ويندرون من الأمور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بعزل أي
والله عليهم بما صدر منهم من فنون الظلم والمعاصي وبما سيكون
منهم فيجازيهم على ذلك « قل ان الموت الذي تفرون منه » ولا
تجسرون على ان تمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال أفعالكم « فانه
ملاقيكم » أثبتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة » الذي لا تخفى عليه خافية « فينبئكم بما كنتم
تعمنون » من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها وهذا دين الزائفين
وشأن الملحدين كما قال تعالى عن اليهود « نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق » . وقد ورت هذه
الخصلة كثير من ينتمى الى الأمة الإسلامية بل كل من الفرق
من يقول نحن أولياء الله مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

قال في حديث الفرق في بيان الفرقة الناجية : وهم ما أنا عليه وأصحابي .

﴿ دعوى محبة الله مع ترك شرعه ﴾

﴿ الثالثة والسبعون ﴾ : دعواهم محبة الله مع ترك شرعه فطالبهم سبحانه بقوله في سورة آل عمران « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . قال الحسن وابن جريج : زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فقلوا يا محمد إنا نحب ربنا فأنزل الله تعالى هذه الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس قل وقف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف ^(١) وهم يسجدون لها فقال : يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل ولقد كنا على الإسلام . فقالت قريش يا محمد إنما نعبد هذه حباً لله لتقربنا إلى الله زلفى فأنزل الله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله اخ » . وفي رواية أبي صالح أن اليهود

(١) الشنوف القرط الأعمى أو معلق في قوف الأذن أو معلق في أعلاها وأما ما علق في أسفلها فقرط . حمه شنوف

لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزل الله هذه الآية فلما نزلت عرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اليهود فأبوا ان يقبلوها . وروى محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : نزلت في نصارى تجران وذلك أنهم قالوا انما نعظم المسيح نعبده حباً لله وتعظيماً له فأنزل الله تعالى هذه الآية ردّاً عليهم . وبالجملة ان من تلبس بالمعاصي لا ينبغي له ان يدعى محبة الله وما أحسن قول القائل :

تعصى الأله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع

﴿ تمنيههم على الله الامانى الكاذبة ﴾

﴿ الرابعة والسبعون ﴾ : تمنيههم على الله تعالى الامانى الكاذبة قال تعالى في سورة آل عمران « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » . أخرج ابن اسحاق وجماعة عن ابن عباس قل : دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال النعمان بن

عمر و الخارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال على ملة
 ابراهيم ودينه قلا فان ابراهيم كان يهودياً فقال لها رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم فهما الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأيتنا
 عليه فأنزل الله تعالى الآية . وفي البحر : زنى رجل من اليهود
 بامرأة ولم يكن بعد في ديننا الرجم فتحا كموا الى رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم تخفيفاً على الزانيين لشرفهما فقال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم : انما أحكم بكتابكم ، فأنكروا الرجم
 فجيء بالتوراة فوضع جرحهم بن صور يا يده على آية الرجم فقال
 عبد الله بن سلام جوزها يا رسول الله فأظيرها فرجما فغضبت
 اليهود فنزلت . ومعنى قوله « ذلك بأنهم قلوا ان تمس النار إلا أياما
 معدودات » أي المذكور من التولي والاعراض حاصل لهم بسبب
 هذا القول الذي رسخ اعتقادهم له وهو نوا به الخطوب ولم يبالوا
 معه بارتكاب المعاصي والذنوب . والمراد بالأيام المعدودات أيام
 عبادتهم العجل « وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » أي غرهم
 اقتراؤهم وكتيبهم أو الذي كانوا يفترونه من قوهم : لن تمس النار
 أو من قوهم : نحن أبناء الله وأحبأوده ، أو مما يشمل ذلك ونحوه
 من قوهم : ان آباءنا الأنبياء يشفعون لنا وأن الله تعالى وعد يعقوب
 ان لا يعذب أبناءه الا تحاة التسم فرد عليهم بقوله سبحانه « فكيف

إذا جمعناهم الخ . روى أنه أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار . وهكذا رأينا كثيراً من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات اعتماداً على الشفاعة أو على علو الحساب وشرف النسب والله المستعان . وفي سورة البقرة « وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً قلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

﴿ اتخاذ قبور الصالحين مساجد ﴾

﴿ الخامسة والسبعون ﴾ : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد . هذه المسئلة من خصال الكتائبين أيام جاهليتهم وفي ذلك ورد الحديث الصحيح « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ثم قال « فلا تتخذوها مساجد » وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي لفظ مسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس قال : لما نزل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طفق يطرح خميصة له

على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال : وهو كذلك لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا
وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة : أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنيسة رأيناها بأرض الحبشة
يقال لها مارية وذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح
أو ارجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور
أولئك شرار المخلوق عند الله » وعن ابن عباس قال « لعن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرجم » رواد أهل السنن الأربعة فهذا التحذير منه
واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل
الصالح صريح في النهي عن المشابهة وفي هذا دليل على الحذر
عن جنس أعمالهم حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم ان يكون من
هذا الجنس . ثم من المعلوم ما قد ابتلى به كثير من هذه الامة
من بناء القبور مساجد واتخاذ القبور مساجد بلا بناء وكلا
الامر من محرم ملعون فعنه بالاستيفاض من السنة وليس هذا موضع
استقصاء ما في ذلك من سائر الاحاديث والآثار ولهذا كان
نسلف يبالغون في المنع

﴿ اتخذ آثار الأنبياء مساجد ﴾

﴿ السادسة والسبعون ﴾ : اتخذ آثار أنبيائهم مساجد كما ورد عن عمر رضي الله عنه فان هذه المسئلة أيضاً من بدع جاهلية الكتابيين كانوا يتخذون آثار أنبيائهم مساجد فورثهم الجاهلون من هذه الامة قراهم يبنون على موضع اختفى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو وصل قدمه المبارك اليه أو تعبد فيه ، وهذا ليس مما يحمد في الشريعة جره الى الغلو . وفي العراق مواضع كثيرة بنوا عليها مباني كالنظام الذي زعموا ان الشيخ الكيلاني تعبد فيه وكأثر الكف الذي زعم الشيعة انه أثر كف الامام علي ما وضعه على الصخرة فأثر فيها فبنوا عليها مسجداً وكعدة أما كن زعموا ان انخضر رؤي فيها ولا أصل له ، الى غير ذلك مما لا يستوعبه المقام فينبغي لمن يدعي الاسلام ان يتجنبها وينهى عن حضورها وان رمى بالانكار وعداوة الاشرار وكيد المارقين الفجار . وفي المسئلة تفصيل لا بأس بذكره قل شيخ الاسلام : اما مقامات الانبياء والصالحين وهي الامكنة التي قاموا فيها أو أقاموا أو عبدوا الله سبحانه لكنهم لم يتخذوها مساجد فالذي بلغني في ذلك قولان عن العلماء المشهورين : أحدهما النهي عن ذلك وكراهته

وانه لا يستحب قصد بقعة للعبادة إلا ان يكون قصدها للعبادة
 مما جاء به الشرع مثل ان يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 قصدها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام ابراهيم وكما كان يتحرى
 الصلاة عند الاسطوانة وكما تقصد المساجد للصلاة ويقصد الصف
 الاول ونحو ذلك . والقول الثاني أنه لا بأس باليسير من ذلك كما
 نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى قصد المواضع التي سلكها النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 سلكها اتفاقاً لا قصداً . وسئل الامام احمد عن الرجل يأتي هذه
 المشاهد وينهب اليها ترى ذلك ؟ قل أما على حديث ابن أم مكتوم
 أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي في بيته حتى يتخذ
 ذلك مصلى وعلى ما كان يفعله ابن عمر يتبع مواضع النبي صلى الله
 تعالى عليه وسلم وأثره فليس بذلك بأس ان يأتي الرجل المشاهد
 إلا أن الناس قد أفرضوا في هذا جداً وأكثروا فيه . وكذلك
 نقل عنه احمد بن القاسم أنه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد
 التي بالمدينة وغيرها ينهب اليها فقال أما على حديث ابن أم
 مكتوم أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فيصلي في
 بيته حتى يتخذ مسجداً وعلى ما كان يفعل ابن عمر كان يتبع مواضع
 سير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أنه رؤي يصيب في موضع

ماء فسئل عن ذلك فقال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يصب هنا ماء قال أما على هذا فلا بأس قال ورنخص فيه ، ثم قال
ولكن قد أفرط الناس جداً وأكثروا في هذا المعنى فذكر قبر
الحسين وما يفعل الناس عنده رواها انخلال في كتاب الادب فقد
فصل أبو عبد الله في المشاهد وهي الامكنة التي فيها آثار الانبياء
والصالحين من غير ان تكون مساجد لهم كواضع بالمدينة بين القليل
الذي لا يتخذونه عيداً أو الكثير الذي يتخذونه عيداً كما تقدم وهذا
التفصيل جمع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة. فانه قد روى البخاري
في صحيحه عن موسى بن عقبة قال رأيت سلماً بن عبد الله يتحرى
أما كن من الطريق ويصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه
رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي في تلك الامكنة فهذا كما
رنخص الامام احمد . وأما كراهته فروى سعيد بن منصور في
سننه قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الاعمش عن المعرور بن
سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر
بألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يلاف قريش في الثانية
فلما رجع من حجته رأى الناس يتدروا المسجد فقال ما هذا
فقالوا مسجد صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقال
هكذا هناك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعة من

عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض
 فقد كره عمر اتخاذ مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عيداً وبين
 ان أهل الكتاب انما هلكوا بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم
 ويتخذونها كنائس وبيعا . وروى محمد بن وضاح وغيره أن عمر
 ابن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي صلى الله تعالى
 عليه وسلم لان الناس كانوا يذهبون تحتها نخاف عمر الفتنة عليهم
 وما ذكره عمر هو الحري بالقبول وهو مذهب جمهور الصحابة
 غير ابنه وهو الذي يجب العمل به ويعول عليه

﴿ اتخاذ السرج على القبور ﴾

﴿ السابعة والسبعون ﴾ : اتخاذ السرج على القبور . دليل حرمة
 ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديث
 الذي سبق ذكره من لعن من يفعل ذلك وليتك رأيت ما يوقد
 في ترب أئمة أهل البيت ونحوها من الشموع ولا سيما في ليالي رمضان
 والليالي المباركة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿ اتخاذ القبور أعياداً ﴾

﴿ الثامنة والسبعون ﴾ : اتخاذ أعياداً اعلم ان العيد اسم لما
 يعود من الاجتماع العام على وجه معتد عتداً ما تعود السنة أو يعود
 الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عتد

كيوم الفطر ويوم الجمعة . ومنها اجتماع فيه . ومنها أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات . وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً . هؤلاء مسلمو أهل العراق لكل تربة ولي يوم مخصوص يجتمعون فيه للزيارة كزيارة الغدير ومرد الرأس . ومنهم من خص له يوم من أيام الاسبوع فالجمعة لفلان والثلاثاء لفلان وهكذا ومن ذلك بعض الايام والليالي المباركة كليلة القدر وأيام الاعياد وليلة النصف من شعبان وغير ذلك مما لم ينزل الله به من سلطان

﴿ الذبح عند القبور ﴾

﴿ التاسعة والسبعون ﴾ : الذبح عند القبور قال الله تعالى « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » أمره الله ان يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله وينبجون له أي أنه أخلص لله صلواته وذبيحته لان المشركين يعبدون الاصنام وينبجون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والانقياد بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى فمن تقرب لغير الله ليدفع عنه ضيراً أو يجنب له خيراً تعظيماً له من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الاوثان وسبب مشروعية التسمية تخصيص مثل

هذه الامور العظام بالاله الحق المعبود العلام فاذا قصد بالذبح غيره كان أولى بالمنع . وصح نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن استأذنه بالذبح ببيوانة وانه قد نذر ذلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أكان فيها صنم ؟ قال : لا . قال : فهل كان فيها عيد من أعياد المشركين ؟ قال لا . قال له « فأوف بنذرك » أخرج ذلك أبو داود في سننه . وهذا السائل موحّد مقرب لله سبحانه وتعالى وحده لكن المكان الذي فيه معبود غير الله وقد عدم أو محل لاجتماعهم يصلح مانعاً فلما علم صلى الله تعالى عليه وسلم ان ليس هناك شيء من ذلك أجازة . ولو علم شيئاً مما سئل عنه منعه صيانة لحي التوحيد وقطعاً لنذرية الشرك . وصح أيضاً عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً . قالوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب قل : ما كنت أقرب شيئاً لاحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » ففي هذا الحديث من التوائد كون المقرب دخل النار بالسبب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم وان كان مسلماً وإلا لم يقل دخل النار . وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب التي هي المقصود الأعظم والركن الأكبر فتأمل في ذلك والنظر

الى فؤادك في جميع ما قالوه وألق سمعك لما ذكروه وانظر الحق
فان الحق أبليج والباطل جليج . فبالنظر التام الى ما كان عليه
المشركون من تقربهم لأوثانهم لتقربهم الى الله لكونهم شفعاء
لهم عند الله وشفاعتهم بسبب أنهم رسل الله أو ملائكة الله وأولياء
الله يتبين لك ما عليه الناس الآن . والله المستعان

﴿التبرك بآثار المعظمين﴾

﴿الحنانون﴾ : التبرك بآثار المعظمين كدار الندوة وافتخار
من كان تحت يده بذلك كما قيل لحكيم بن حزام بعث مكرمة
قريش فقتل ذهبت المكارم إلا التقوى هذه الخصلة قد امتدت
عروق ضلائها في أودية قلوب جهلة المسلمين وزادوا في الغلو بها
على ما كان عليه جاهلية العرب والكتابين ولا بدع من حكيم
ابن حزام القرشي الأسدي اذا مارد على من قال له : بعث
مكرمة قريش وقد باعها من معاوية بمائة ألف درهم : ذهبت المكارم
إلا التقوى كيف لا وقد كان عقلا سرياً فاضلاً تقياً سيداً بماله غنياً
أعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير وحج في الاسلام
ومعه مائة بدنة قد جلتها بالخبرة وكفها عن اعجازها وأهداها ووقف
بمائة وصيف بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها عتقاء
الله عن حكيم بن حزام وأهدى ألف شاة وهو الذي عاش في

الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة وولد في السكبة

(الحادية والثمانون) : الفخر بالاحساب

(الثانية والثمانون) : الاستسقاء بالانواء

(الثالثة والثمانون) : الطعن في الانساب

(الرابعة والثمانون) : النياحة . أقول : هذه المسائل الاربع

دليل بطلانها حديث واحد وهو ما رواه البخاري ومسلم واللفظ

مسلم بسنده الى أبي مالك الاشعري أن النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم حدثه قال : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر

في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والناحية

أوقل النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقدم يوم القيامة وعليها سربال

من قطران ودرع من جرب « الفخر في الاحساب افتخارهم بمفاخر

الآباء . والطعن في الانساب ادخالهم العيب في انساب الناس

تحقيراً لا بائهم وتفضيلاً لا باء أنفسهم على آباء غيرهم . والاستسقاء

بالنجوم اعتقادهم نزول المضر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر

وطلوع آخر يقابله من المشرق فقد كانوا يقولون مطرنا بنوء

كذا وقال تعالى « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » وهذا

مفصل في كتب الانواء بما لا مزيد عليه . ومعنى قوله في النائحة :

وعليها سربال من قطران ان الله تعالى يجازيها بلباس من قطران

لانها كانت تلبس الشياب السود . وقوله درع من جرب يعني

يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدننا تغطية
الدرع وهو القيص لاتها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب
ذوي المصيبات . فهذا الحديث دل على بطلان ما كان عليه أهل
الجاهلية من هذه الخصال الرديئة، وورثتهم اليوم من هذه الأمة
تجاوزوا فيها أسلافهم وزادوا في الطنبور نعمات فتراهم يفتخرون
بمزايا آبائهم وهم بمراحل عنهم ، فهذا يقول كان جدي
الشيخ الفلاني وهذا يقول جدي العالم الرباني الى غير ذلك .
وكذلك الطعن في الانساب، فهذا يقول إن آباء فلان لم يكونوا من
العترة الطاهرة وذاك يقول ان آباء فلان لم يكونوا من ذوي
الاحساب الباهرة . وكذلك الاستسقاء بالأنواء ولم يعتقد كثير
من الناس أن ما كان من فعل رب الأرض والسماء . وهكذا
النوح على الأموات فقد اتخذ كثير من الناس من أفضل الأعمال
وسبب الوصول الى مرضاة ذي الجلال لا سببا من اتخذ المآثم
الحسينية في كل عام فهناك من البدع ما تكل عن نقله السنة
الأقلام والويل كل الويل لمن أنكر شيئا من ذلك فانهم يوردونه
موارد العطب والمهالك . والأمر لله ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ تعبير الرجل بفعل أمه وأبيه ﴾

﴿ الخامسة والثمانون ﴾ : تعبير الرجل بفعل غيره لا سببا

أبوه وأمه يخالفهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال « أعيرته بأمه ؟
 انك امرؤ فيك جاهلية » والحديث في صحيح الامام البخاري في
 باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا
 بالشرك لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : انك امرؤ فيك
 جاهلية وقول الله تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
 ما دون ذلك لمن يشاء » . وهذا الباب في كتاب الايمان من
 صحيحه ثم قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل
 عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه
 حلة فسألته عن ذلك فقال : اني سايبت رجلا فعيرته بأمه فقال لي
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ
 فيك جاهلية اخوانكم خولكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم فمن
 كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا
 تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » وقد أظنبت شرح
 الحديث في شرحه وليس هذا موضع استقصائه . والمقصود منه
 أن تعبير الرجل بفعل غيره ليس من شأن كامل الايمان والمعرفة .
 فان أبا ذر رضي الله تعالى عنه قبل بلوغه المرتبة القصوى من
 المعرفة تساب هو وبلال الحبشي المؤذن فقد له : يا ابن السوداء
 فيما شكوا بلال الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له
 « شتمت بلالا وعيرته بسواد أمه ؟ قال : نعم . قال حسبت أنه بقي

فيك شيء من كبر الجاهلية» فألقى أبو ذر خده على التراب ثم قال :
لا أرفع خدي حتى يطاء بلال خدي بقدمه . والناس اليوم والأمر
لله قد كثرت فيهم خصال الجاهلية فتراهم يعيرون أهل البلد كلهم
بما صدر عن واحد منهم فأين من ذلك خصال الجاهلية

﴿ الافتخار بولاية البيت ﴾

﴿ السادسة والثمانون ﴾ : الافتخار بولاية البيت . قدمهم الله
تعالى بقوله : « مستكبرين به سامراً تهجرون » وهذه الآية
في سورة المؤمنين وهي بتمامها قوله تعالى « قد كانت آياتي تُتلى
عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً
تهجرون » ومعنى هذه الآية على ما في التفسير قد كانت آياتي
تتلى عليكم لتعليل لقوله قبل « لا تجأروا اليوم انكم من لا
تنصرون » أي دعوا الصراخ فانه لا يمنعكم منا ولا ينفعكم عندنا
فقد ارتكبتم أمراً عظيماً وإثمًا كبيراً وهو التكذيب بالآيات فلا
يدفعه الصراخ فكنتم عند تلاوتها على أعقابكم تنكصون أي تعرضون
عن سماعها أشد الاعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها .
والنكوص : الرجوع . والأعقاب : جمع عقب وهو مؤخر الرجل
ورجوع الشخص على عقبه رجوعه في طريقه الأول كما يقال :
رجع عوده على بدئه « مستكبرين به » أي بالبيت الحرام ، والبناء

للسببية وسوغ بهذا الاضرار مع أنه لم يجر ذكر اشتهار استكبارهم
 وافتخارهم بأنهم خدام البيت وقوامه « سامراً » أي تسرون بند كر
 القرآن والظعن فيه وذلك أنهم كانوا يجتمعون حول البيت يسرون
 وكانت عمة سحرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً « ونهجرون »
 من الهجر بفتح فسكون بمعنى القطع والتترك والجملة في موضع الحال
 أي تاركين الحق والقرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على
 تقدير عود ضربه له وجاء الهجر بمعنى الهديان وجوز أن يكون
 المعنى عليه أي تهذون في شأن القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلامه أو أصحابه أو ما يع جمیع ذلك ويجوز أن يكون من الهجر
 بضم فسكون وهو الكلام القبيح فأنكر الله تعالى عليهم بقوله :
 « أفلم يدبروا القول » ليعلموا بما فيه من وجود الاعجاز انه الحق
 من ربهم فيؤمنوا به « أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » أي بل
 جاءهم الخ . والمقصود أن من خصال الجاهلية التكبر بسبب
 الرياسة على المواضع المقدسة كما هو اليوم حال كثير ممن يدعى
 الشرف بسبب ذلك . ففهم من ادعى الشرف على المسلمين
 بسبب رياسته على مكة والمدينة ومنهم من ادعاه بسبب الرياسة في
 المشاهد أو مقامات الصالحين هؤلاء الذين يدعون انسابهم الى
 عبد القادر الجيلي في بغداد يدعون الشرف بسبب رياستهم على قبر

عبد القادر واستيلائهم على النذور والصدقات والذبايح والقرايين
الشركية التي يتعبدونها جهلة المسلمين من الهنود والأكراد
ونحوهم وهم أفسق خلق الله وأدناهم نفساً وأرذل خلق الله مسلوكا
فما يفيدهم ذلك عند الله شيئاً وما ينجيهم من مقت الله وعذابه
وان ظن بهم العوام ما ظنوا فهم عند الله وعند عباده الصالحين
أحق من الدر وأبعدهم عن رحمته يوم القيامة

﴿ الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء ﴾

﴿ السابعة والثمانون ﴾ : الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء
عليهم السلام . فردّ الله عليهم بقوله « تلك أمة قد خلت لها ما
كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » هذه
الآية في آخر الجزء الأول من سورة البقرة وتفسيرها « تلك
أمة قد خلت » الإشارة الى ابراهيم عليه السلام وأولاده في قوله
« ومن يرغب . عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » الخ . والامة أتت لمعان
والمراد بها هنا الجماعة من أم بمعنى قصد وسميت كل جماعة يجمعهم
أمر ما إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان بذلك لأنهم
يؤم بعضهم بعضاً ويقصده . وانخلو : المضي ، وأصله الانفراد لها

ما كسبت ولكم ما كسبتم « والمعنى أن اقتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم وإنما تفتنون بمواقفتهم واتباعهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « يا معشر قريش ان أولى الناس بالنبي المتقون ، فكونوا بسبيل من ذلك فانظروا أن لا يلقاني الناس يحملون الأعمال وتلقوني بالدنيا فأصد عنكم بوجهي » وهذا الحديث بمعنى قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ومعنى قوله « ولا تسئلون عما كانوا يعملون » لا تؤاخذون بسينئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم . وهذه الخصلة موجودة اليوم في كثير من المسلمين ورأس ما لهم الافتخار بالأباء : فمنهم من يقول : أنا من ذرية عبد القادر الكيلاني ومنهم من يقول أنا من ذرية أحمد الرفاعي ، ومنهم من يقول أنا بكرى ، ومنهم من يقول أنا عمري ، ومنهم من يقول أنا علوي أو حسني أو حسيني ولا فضيلة لهم ولا تقوى وكل ذلك لا ينفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، ورسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم يقول لفاطمة « يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا » وما قصد أولئك المفتخرين بأبائهم وهم عارون عن كل فضيلة إلا أكل أموال الناس بالباطل . وفي المثل (كن عصامياً ولا تكن عظامياً) ان الفتى من يقول ها أناذا ليس الفتى من يقول كان أبى

والله حرة من قال يردُّ على المفتخر بمثل ذلك :
 أقول لمن غدا في كل يوم يباهينا بأسلاف عظام
 أتقنع بالعظام وأنت تدري بأن الكلب يقنع بالعظام
 وقال آخر :
 وما الفخر بالعظم الرميم وإنما نخار الذي ينبغي الفخار بنفسه

﴿ الافتخار بالصنائع ﴾

﴿ الثامنة وثمانون ﴾ : الافتخار بالصنائع . كما افتخر أهل
 الرحلتين على أهل الحرث، يريد بالرحلتين رحلة الشتاء الى اليمن
 ورحلة الصيف الى الشام وهي عادة كانت لقريش كما ذكر ذلك
 في سورة الايلاف . والمقصود أنه لا ينبغي للتاجر أن يفتخر
 بتجارته على أهل الحرث ولا أهل كل حرفة على المحترفين بحرفة
 أخرى فان كل ذلك من المكاسب الدنيوية التي يتوصل بها الى
 عبادة الله وطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ليتوصل
 بذلك الى النجاة الأبدية وهي مدار الفخر ، وأماما سوى ذلك فكله
 ظل زائل ونعيم غير مقيم فلا ينبغي للعاقل أن يفخر بزخارف
 الدنيا الدنيئة ولا يعلم متى يفارقها . نسأله تعالى التوفيق والعمل
 الصالح الذي يرضيه

﴿عظمة الدنيا في قلوبهم﴾

﴿التاسعة والثمانون﴾ : عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» أي من خصال الجاهلية مراعاة الدنيا وعظمتها في قلوبهم كما حكى الله عنهم ذلك بقوله «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون» وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون» هذه الآية في سورة الزخرف وموضع الاستشهاد فيها قوله «وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» المراد من القريتين مكة والطائف . قال ابن عباس الذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي والذي من الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وكل منهما كان عظيماً ذا جاه ومال وكان الوليد بن المغيرة يسمى ربحانة قريش وكان يقول لو كان ما يقول محمد حقاً لنزل على أو على أبي مسعود يعني عروة بن مسعود وكان يكنى بذلك وهذا باب آخر من انكارهم للتسوية وذلك أنهم أنكروا أولاً أن يكون النبي بشراً ثم تكلموا بتكوير الحجج وتزييق عندهم تصور رواج لذلك جاءوا بالانكار من وجه آخر فحكوا على

الله سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين وقولهم «هذا القرآن» ذكر له على وجه الاستهانة لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً بل إنكاراً كأنه قيل هذا الكذب الذي يدعيه لو كان حقاً لكان الحقيق به رجل من القريتين عظيم وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة إنما تستدعى عظيم النفس بالتخلي عن الرذائل الدنية والتخلي بالكلمات والفضائل القدسية دون التزخرف بالزخارف الدنيوية ، فأنكر سبحانه عليهم بقوله «أهم يقسمون رحمة ربك» وفيه تهجيل وتعجيب من تحكمهم نزول القرآن العظيم على من أرادوا «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ، ولم نفرض أمرها اليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية «ورفعنا بعضهم فوق بعض» في الرزق وسائر مبادئ المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسباً تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وغنى وفقير وخدام ومخدوم وحاكم ومحكوم . «ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» ليستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم ويستخدموهم في مناهم ويسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويترافدوا ويصلوا إلى مراقبتهم لالكمال في الموسع عليه ولانقص في المقتر عليه ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فإذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية

وهو على طرف التمام بهذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم في تدبير أنفسهم وفي تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط الصيوق ، ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها وفي قوله تعالى «نحن قسمنا» الخ ما يزيد في الانكباب على طلب الدنيا ويعين على التوكل على الله عز وجل والانقطاع إليه جلّ جلاله

فاعتبر نحن قسمنا بينهم تلقه حقا وبالحق نزل
«ورحمة ربك خير مما يجمعون» أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الدنية فالعظيم من رزق تلك الرحمة دون ذلك الحطام الدنيء الفاني . وأنت تعلم أن كثيرا من الناس اليوم على ما كان عليه أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فتراهم لا يعتبرون العلم إذا كان صاحبه فقير أخال وينظرون إلى الغني ويعتبرون أقواله ، والله درّ من قل (١) :

رُبَّ عِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَسْئَلِ وَجَهْلُ غَطْيِ عَلَيْهِ النِّعَمِ

﴿ازدراء الفقراء﴾

﴿التسعون﴾ : ازدراء الفقراء فنزل سبحانه قوله «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» . أقول

(١) هو حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . والمشهور

هذه الآية في أوائل سورة الانعام وبيان معناها متعلق بما قبلها وهو قوله تعالى « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » فلما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار المذكورين لعلمهم ينتظمون في سلك المتقين نهى عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم ويفهم من بعض الروايات ان الآيتين نزلتا معاً ولا يفهم ذلك من البعض الآخر فقد أخرج الامام احمد والطبراني وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : مرّ الملاء من قريش على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يا محمد رضيت هؤلاء من قومك أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم ان تتبعك . فأنزل الله تعالى فيهم القرآن « وأنذر به الذين » الى قوله سبحانه « فتكون من الظالمين » . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل وغيرهم عن خباب قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في اناس ضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم

حوله حقروهم فأتوه نفلوا به فقالوا نحب أن نجعل لنا منك مجلساً
تعرف لنا العرب به فضلنا فإن وقود العرب تأتيك فنتسحي أن
ترانا قعوداً مع هؤلاء الاعبيد فإذا نحن جئناك فاقهم عن فإذا نحن
فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكاتب لنا عليك بذلك كتاباً
فدعا بالصحيفة ودعا علينا ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل
جبريل بهذه الآية « ولا تطرد الذين اتبعوا » ثم دعانا فأتيناها وهو
يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه
فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فنزل الله تعالى « واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد
عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » فكان رسول الله ﷺ يقعد مع
فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها ثمنا وتركناه حتى يقوم . وأخرج ابن
المنذر وغيره عن عكرمة قال مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقرظة
ابن عبيد عمرو بن نوفل والخرث بن عامر بن نوفل ومطعم بن
عدي في أشرف الكفار من عبدة منى أنى أبي طالب فدعوا
نوان ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الاعبيد والحلفاء كان أعظم له في
صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقه فذكر
ذلك أبو طالب لنبى ﷺ فقال عمر بن الخطاب لو فعلت يا رسول
الله حتى تظن ما يريدون بقومهم وما يصيرون اليه من أمرهم فنزل

الله سبحانه « وأنذر به الذين يخافون » الى قوله سبحانه « أليس الله بأعلم بالشاكرين » وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالم مولى حذيفة وصبيحاً مولى أسيد والحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو ومرثد بن أبي مرثد وأشباههم ونزل في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » فلما نزلت أقبل عمر فاعتذر من مقالته فانزل الله تعالى « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا » وقوله « ما عليك من حسابهم من شيء » جملة معترضة بين النهي وجوابه تقريراً له ودفعاً لما عسى أن يتوهم كونه مسوغاً لطرده المتقين من أقويب الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا « ما تراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي » والمعنى ما عليك شيء مما من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة كما يقوله المشركون حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الأحكام وأما وظيفتك حسبها هو شأن منصب الرسالة النظر الى ظواهر الامور واجراء لاحكام على موجبها ، وتفويض البواطن وحسابها الى اللطيف الخبير ، وظواهرها هؤلاء دعاء ربهم بالعداة والعشى . وروى عن ابن زيد ان المعنى ما عليك شيء من حساب رزقهم أي من فقرهم والمراد لا يضررك فقرهم شيئاً ليصح لك الاقدام على ما أراه انشركون منك فيهم وقوله « وما من حسابك عليهم من شيء » عطف

على ما قبله وجيء به مع أن الجواب قد تم بذلك مبالغة في بيان
 كون انتفاء حسابهم عليه بنظمه في سلك مالا شبهة فيه أصلا وهو
 انتفاء كون حسابهم ^{سبب} عليهم فهو على طريقة قوله سبحانه « فإذا
 جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » في رأى وقال
 الزمخشري ان الجملتين في معنى جملة واحدة تؤدى مؤدى « ولا تزر
 وازرة وزر أخرى » كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولام بحساب صاحبه
 وحينئذ لا بد من الجملتين وتعقب بأنه غير حقيق بجلالة التنزيل
 وقوله « فتكون من الظالمين » جواب للنهي

﴿ انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث ﴾

﴿ الحادية والتسعون ﴾ : عدم الايمان بملائكة الله وكتبه
 ورسوله واليوم الآخر والكلام على ذلك مفصل في التفسير وكتب
 الحديث والعقائد والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى « زعم
 الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى ورنى لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم
 وذلك على الله يسير » ومن الشعر الجاهلى في انكار البعث والنشور :

وماذا بالقليب قليب بهر	من الشيزى تزين بالسند
وماذا بالقليب قليب بهر	من القيند والشرب الكرام
نحيننا السلامة أم بكر	فهل لى بعد قومي من سلام
بحدت برسول بأن منحنيا	وكيف حيا اصداء وهم

وقال آخر :

حياة ثم موت ثم نشء حديث خرافة يأأم عمرو
ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى « وقالوا إذا متنا
وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون » وقد تكلمنا
على معتقدات الجاهلية وأديانهم في غير هذا الموضع
﴿ إيمانهم بالجبت والطاغوت ﴾

﴿ الثانية والتسعون ﴾ : الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل
دين المشركين على دين المسلمين قال تعالى « ألم تر إلى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » وقد تقدم الكلام
على ذلك مفصلا . والمقصود هنا أن جملة الكفار كانوا
يقولون للمشركين أنتم أهدى من المسلمين وما عندكم خير مما
عليه محمد وأصحابه . وترى المتصوفة والغلاة اليوم على هذا المنهج
يقولون إن دعاة أهل القبور والغلاة خير ممن يمنع عن ذلك من
أهل التوحيد وحفاظ السنة

﴿ كتمان الحق مع العلم به ﴾

﴿ الثالثة والتسعون ﴾ : كتمان الحق مع العلم به . كما حكى الله

ذلك عن أحبار بني اسرائيل من اليهود والنصارى فقد كتبوا ما ورد في كتبهم من البشائر المحمدية وهم يعلمون بورودها وذكرها في كتبهم والكلام في هذا الباب مفصل في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام فعليك به فإنه كتاب لم يؤلف مثله

﴿القول على الله بلا علم﴾

﴿الرابعة والتسعون﴾ : القول على الله بلا علم وهو أساس كل فساد وأصل الضلال وأكثر الناس حظاً من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين فقد تكلموا في الصفات الالهية بما لم ينزل الله بها من سلطان وأوتوا نصوص الشريعة بما تهووا أنفسهم كما فعله الرازي في كتابه أساس التقديس وجزى الله شيخ الاسلام خيراً فقد رد عليه ونقض أساسه وسجل ضلاله وجهه وضيق أنفاسه «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض»

﴿التناقض﴾

﴿الخامسة والتسعون﴾ : التناقض الواضح قل تعالى : بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريب، وهكذا أهل البدع من المغلاة وغيرهم يدعون الاسلام ويعملون أعمالاً تناقض ما هم عليه من الدين

﴿الكهانة وما في حكمها﴾

﴿السادسة والتسعون - والسابعة والتسعون - والثامنة والتسعون - والتاسعة والتسعون - والمائة﴾ : العيافة ، والطرق والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ونحو ذلك . وقد تكلمنا على هذه الامور في كتابنا (بلوغ الأرب في أحوال العرب) بما لا مزيد عليه وذكرنا هناك أو ابداهم وخرافاتهم وسائر ضلالاتهم . وكل ذلك من أعمال جهلة المسلمين اليوم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا



وغالب مسائل الاصل رؤوس مسائل في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، ومن أراد التفصيل فليرجع اليه وهذا آخر ما أردنا شرحه من المسائل التي أبطلها الاسلام . والحمد لله ولي الانعام . والصلاة والسلام على خير الانام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان

في هذي الحجة وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة ١٣٢٥ هـ

فهرس

﴿مسائل الجاهلية﴾

	الصفحة	المائة
اهداء الكتاب	٣	
مقدمة الناشر	٤	
خطبة الكتاب	٩	
دعاء الصالحين	١	١١
التفرق	٢	١١
مخالفة ولي الأمر	٣	١٢
التقليد	٤	١٣
الاقْتداء بالعالم الفاسق أو العالم الجاهل	٥	١٤
الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل	٦	١٥
الاحتجاج على الحق بقلة أهله	٧	١٦
الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً	٨	١٧
انخداع أهل القوة وإخيلة بقوتهم وحيلتهم	٩	١٨
انخداع أهل الثروة بثروتهم	١٠	٢٥

الصفحة	المائة
٢٣	١١ الاستخفاف بالحق لضعف أهله
٢٤	١٢ وصم أنصار الحق بما ليس فيهم
٢٥	١٣ التكبر عن نصره الحق لأن أنصاره ضعفاء
٢٦	١٤ استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً
٢٦	١٥ جيلهم بالجامع والفارق
٢٩	١٦ الغلو في الصالحين
٣٠	١٧ الاعتذار بعدم الفهم
٣٢	١٨ إنكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم
٣٣	١٩ التمسك بخرافات السحر
٣٤	٢٠ التناقض في الانتساب
٣٤	٢١ صرف النصوص عن مدلولاتها
٣٤	٢٢ تحريف كتب الدين
٣٥	٢٣ الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها
٣٥	٢٤ كفرهم بما مع غيرهم من الحق
٣٦	٢٥ ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها
٣٧	٢٦ إنكار ما أقرؤا أنه من دينهم
٣٨	٢٧ المجاهرة بكشف العورات
٤٠	٢٨ التعبد بتحريم الحلال

	الصفحة	المائة
الاحاد في أسماء الله وصفاته	٢٩	٤٣
نسبة النقائص الى الله	٣٠	٤٦
تنزيههم المخلوق عما نسبوه الى الخالق	٣١	٥٠
قولهم بالتعطيل	٣٢	٥١
الشركة في الملك	٣٣	٥١
انكار النبوات	٣٤	٥٢
جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله	٣٥	٥٣
مسبة النهر	٣٦	٦٠
اضافة نعم الله الى غيره	٣٧	٦٢
الكفر بايات الله	٣٨	٦٤
اختيار كتب الباطل ونبد آيات الله	٣٩	٦٥
القدح في حكمة الله	٤٠	٦٦
الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم	٤١	٧٠
الغلو في الأنبياء والرسل	٤٢	٧٢
الجدل بغير علم	٤٣	٧٢
الكلام في الدين بلا علم	٤٤	٧٣
الكفر باليوم الآخر	٤٥	٧٥
التكذيب بآية مالك يوم الدين	٤٦	٧٥

	الصفحة	للأمة
التكذيب بآية لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة	٤٧	٧٦
الخطأ في فهم معنى الشفاعة	٤٨	٧٦
قتل أولياء الله	٤٩	٧٧
الايمان بالجبت والطاغوت (وانظر ص ١٤٢)	٥٠	٨٨
لبس الحق بالباطل	٥١	٩٠
الاقرار بالحق للتوصل الى دفعه	٥٢	٩٠
اتخاذ النبيين أرباباً	٥٣	٩١
تحريف الكلم عن مواضعه	٥٤	٩٢
تلقيب أهل الهدى بألقاب غريبة	٥٥	٩٤
التكذيب بالحق	٥٦	٩٨
الافتراء على المؤمنين	٥٧	٩٩
رمي المؤمنين بالفساد في الأرض	٥٨	١٠٠
رمي المؤمنين بتبديل الدين	٥٩	١٠٠
اتهام أهل الحق بالفساد في الأرض	٦٠	١٠١
تناقض مذهبهم لما تركوا الحق	٦١	١٠١
دعواهم العمل بالحق الذي عندهم	٦٢	١٠٥
الزيادة في العبادة	٦٣	١٠٦
النقص من العبادة	٦٤	١٠٦

	الصفحة	المسألة
تعبدهم بترك الطيبات من الرزق	١٠٧	٦٥
تعبدهم بالسكاء والتصدية	١٠٨	٦٦
النفاق في العقيدة	١١٠	٦٧
دعاؤهم الى الضلال بغير علم	١١٠	٦٨
دعاؤهم الى الكفر مع العلم	١١٠	٦٩
المكر الكبار	١١٠	٧٠
حالة علمائهم	١١١	٧١
زعمهم أنهم هم أولياء الله	١١٢	٧٢
دعوى محبة الله مع ترك شرعه	١١٥	٧٣
تمنيهم على الله الأمانى الكاذبة.	١١٦	٧٤
اتخاذ قبور الصالحين مساجد.	١١٨	٧٥
اتخاذ آثار الأنبياء مساجد	١٢٠	٧٦
اتخاذ السرج على القبور.	١٢٣	٧٧
اتخاذ القبور أعياداً	١٢٣	٧٨
الذبح عند القبور	١٢٤	٧٩
التبرك بآثار المعظمين	١٢٦	٨٠
الفخر بالأحساب	١٢٧	٨١
الاستسقاء بالأفواء.	١٢٧	٨٢

	الصفحة	للسنة
الطعن في الانساب	٨٣	١٢٧
النياحة	٨٤	١٢٧
تعبير الرجل بفعل أمه وأبيه	٨٥	١٢٨
الافتخار بولاية البيت	٨٦	١٣٠
الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء	٨٧	١٣٢
الافتخار بالصنائع	٨٨	١٣٤
عظمة الدنيا في قلوبهم	٨٩	١٣٥
ازدراء الفقراء	٩٠	١٣٧
انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث	٩١	١٤١
اعتابهم باجبت والطاغوت (وانظر ص ٨٨)	٩٢	١٤٢
كتمان الحق مع العلم به	٩٣	١٤٢
القول على الله بلا عا	٩٤	١٤٣
التناقض	٩٥	١٤٣
العيافة	٩٦	١٤٤
الطرق	٩٧	١٤٤
الطيرة	٩٨	١٤٤
الكهانة	٩٩	١٤٤
التمحيز الى الطاغوت	١٠٠	١٤٤



الجلايقية

مجموعة أدبٍ بارعٍ، وحكمةٍ بليغةٍ، وتهذيبٍ قوميٍّ.

تأليف

سحب الرتبة المطب

منشور مجلتي (الزهر) و (النتح)

ثمانية أجزاء — ٢٣٠٠ صفحة

لطيفة الحجم ، جميلة الطبع

ثمانية قرشاً

تطلب من

المطبعة الشامية - ومكة

بشارع الاستئناف - بالقاهرة.

حاشية على

أُعتب الطبعة السلفية طبع الجزء الاول من هذا الكتاب
المعظم ، فجاء في ٤٣٥ صفحة كبيرة مطبوعاً على ورق فاخر جداً
بحروف جميلة . واعتمدنا في تصحيحه على نسخة العلامة الشنقيطي
الكبير المنقولة من خط المؤلف ، وحليناه بتصحيحات العلامة
الجليل صاحب السعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا ، وتصحيحات
وتعليقات المحقق الكبير الاستاذ عبد العزيز الميني الراجكوتي
استاذ آداب اللغة العربية في جامعة عليكرة الاسلامية في الهند
فجاء من مفاخر ما قامت به الطباعة المصرية في هذه الايام
قيمة الاشتراك في كل جزء عشرة قروش مقدماً
وعند تسليم كل جزء تدفع قيمة الاشتراك بالجزء الذي يليه

To: www.al-mostafa.com